الإسلام والبيئة



د. مصطفى بن حمزة

بسم الله الرحمن الرحيم



الإسلام والبيئة

منشورات المجلس العلمي الأعلى، الرباط - المملكة المغربية

المؤلف : د. مصطفى بن حمزة

رقم الإيداع القانوني : 2016MO4016

ردمك : 978-9954-498-24-8

ردمد : 2028-2524

الطبعة الأولى : 1438 / 2016

السحب : مطبعة الأمنية - الرباط

تقديم

إن يكن عالم اليوم قد أهمه أمر الأرض، ببرها ومائها وهوائها وكل ما يدور في فلكها، فذلك لأنه لاح في أفق الحياة على سطحها من الأعراض والأمراض ما يخيف ويوشك أن تكون لها تداعياته بسبب ما كسبته أيدي الناس من فساد وإفساد، باتت الحياة معه غير قادرة على تحمل المزيد، من الجهل والعناد والاستنزاف مما أوجب المسارعة إلى دعوة عامة لعقلاء الدنيا، وسادتها وكبرائها، لحضور أمر جامع يهم مصير الحياة على الأرض، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

إن أخذ الناس الأمر بمثل هذا القدر من الجدية والمسؤولية، يعني أن الخطر القادم لا يمكن تفادي سيء آثاره إلا بتعبئة كاملة لكل من بيدهم الحسم من ساكنة هذا الكوكب، أينما كان موقعهم منه، تعاونا على دفع ذرائع الفساد، وجلب فرص النجاة.

والذي لا جدال فيه أن عقلاء القوم في كل زمان ومكان، كانوا على الدوام مناط الرجاء كلما حزب الناس أمر أو نزل بساحتهم من المكروه ما يحتاج دفعه إلى حصيف العقل، وسديد الرأي، وما كانت دنيا الناس اليوم لتخلو من عقلاء يستضاء برأيهم، وما كان الله ليخلي أرضه من الصالحين المصلحين، ويذرها تحت رحمة بطش الذين يدمرونها تدميرا.

والظن بأهل الأرض من عقلاء العصر، أن يكونوا عند حسن الظن بهم في إخلاص النصيحة للأرض، فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن الأرض كل الأرض اليوم ترنو ببصرها، وتصيخ بسمعها إليكم أنتم، الذين ضمتكم مدينة مراكش بين أحضانها، لاتخاذ القرار، فماذا أنتم صانعون؟

هذا، ولأن الشيء بالشيء يذكر فأن ما احتشدتم للنظر فيه من قضايا الأرض والبيئة والمناخ سبق أن كان محط عناية كبيرة قبل اليوم بأكثر من ألف وأربعمائة عام، حيث شغل من مشروع الإسلام الشامل، مساحة ذات بال كما هو مبسوط في كتاب الإسلام المقدس: «القرآن الكريم»، وفي سنة النبي محمد ﷺ وسيرته، مما يصح أن يطلق عليه حقا وصدقا اسم «دستور البيئة في الإسلام».

ومن بين الوثائق المقدمة لهذا الملتقى، وثيقة ذات قيمة أعدها الأستاذ الدكتور مصطفى بن حمزة عضو المجلس العلمي الأعلى، خصيصا بهذه المناسبة في موضوع: «الإسلام والبيئة»، يمكن الإطلالة من خلالها على خلاصة نقية، لبعض ما خص به الإسلام هذا الموضوع بالذات من فائق العناية وعظيم الاهتمام.

إنها وصية قديمة جديدة، وهي صالحة دائما أبدا، وقع إغفالها، وإذ يقع التذكير بها اليوم فعلى رجاء أن يكون ذلك مفيدا لأولي الألباب الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولو أنه جاء متأخرا عن موعده فهو كما قال أحد الناصحين القدامى:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وفي اعتقادنا أن الذي يميز الرؤية الإسلامية في مقاربتها للبيئة أنها لم تنظر إليها مفصولة عن ساكن الأرض الذي هو الإنسان، إذ كل ما يصيب البيئة من إنهاك وانتهاك وفساد وإفساد، مصدره هذا الإنسان نفسه، ومن ثم فإن أي معالجة لموضوع الأرض وما يحيط بها لا تجعل من موضوع الإنسان منطلقا لها، لن تكون أكثر من محاولة محكوم عليها بالفشل الذريع، مسبقا.

نعم، لقد فشلت سياسة الإنسان حتى الآن في تدبير البيت الكبير الذي يسكنه، فتعين عليه أن يعيد تأهيل نفسه، ومراجعة سياسته في التدبير، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وبعد، فقد قالوا في معنى الإنسان حقا أو باطلا: إنه سمي كذلك لكونه سريع النسيان، ومع ذلك وبالرغم مما يعتريه من كثير النسيان أو قليله، فإن شيئا واحدا يجب عليه أن لا ينساه، وأن يتذكره دائما، وله أن ينسى بعد ذلك من الأشياء، ما شاء، وهذا الذي يجب عليه أن يتذكره دائما و لا ينساه هو أن هذه الأرض التي يسكنها، ويمارس فيها نشاطه، ليست ملكا له، بل هي ملك لمالكها الحقيقي وهو الله تعالى خالق السماوات والأرض، والإنسان، وخالق كل شيء، وهذا الخالق الأعظم وضع للعيش فيها نواميس وقوانين، وقواعد وضوابط، التقيد بها، والوقوف عند حدودها والانضباط لها واجب على كل من يعيش على ظهرها، إن أراد النجاة لنفسه وللبيئة، وللناس وللأرض ومن عليها، ومن أهم هاتيك الضوابط، الإمساك عن إتيان أي سلوك من شأنه أن يفضي إلى الفساد والإفساد فيها، فإن هو نسي ذلك وأعرض، وطغى في البلاد وتجبر، كما قد يبدو أنه قد فعل، فقد آذن نفسه بحرب من

الله لا تبقي و لا تذر، قد تكون خاتمة المطاف فيها ما أنذرت بوقوعه الآية الكريمة رقم 24 من سورة يونس التي تقول:

﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾.

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾.

(سورة النور- من الآية 61).

محمد يسف
الأمين العام
للمجلس العلمي الأعلى

مقدمة المؤلف

يعيش المغرب هذه السنة على وقع الاستعداد المكثف لاحتضان مؤتمر المناخ "COP 22" الذي سينعقد بمراكش خلال شهر نوفمبر 2016 إن شاء الله.

وقد شرعت اللجنة الوطنية المكلفة بتنظيم المؤتمر في تنفيذ بعض الإجراءات والترتيبات المادية والتنظيمية التي يتطلبها عقد لقاء دولي ذي حجم كبير وأهمية بالغة، يحضره عدد من رؤساء الدول والحكومات ومن الهيئات الدولية، ومن مكونات المجتمع المدني المعنية بقضية البيئة دوليا.

وإذا كان الإعداد المادي والتنظيمي قد أخذ طريقه إلى التنزيل والتنفيذ، فإن ذلك يستدعي أن يواكب هذا الجهد المادي جهد آخر أدبي تحسيسي يتوجه إلى الإنسان أصالة، على اعتبار أنه هو الفاعل والمنفذ لما يتقرر، والمستفيد من كل ما يتحقق على سبيل الحفاظ على البيئة.

ومن خلال هذا الجهد التحسيسي ستتأتى صياغة درجة من الوعي لدى المغاربة الذين سيحتضنون هذا المؤتمر البيئي الكبير، حدثا استثنائيا في وطنهم، وقضية مصيرية في فكرهم ووجدانهم.

وستكون درجة الوعي لدى المغاربة، وكثافة متابعتهم لأشغال المؤتمر ورفعهم لمطالبهم البيئية حافزا للمؤتمرين على مزيد تعميق للتفكير، وبذل للجهد من أجل إقرار كل الإجراءات التي تعلق عليها آمال الشعوب في الحد من التدهور البيئي.

والمتعين في هذه الحال أن يمهد المغاربة لأشغال هذا المؤتمر عمليا بإبراز المظهر الجميل للمساحات الخضراء، وللساحات العمومية، وللأزقة والدروب ولمصادر المياه ومجاريه، وكل ذلك يعطي صورة مشرقة وضيئة عن مستوى تغلغل الوعي البيئي في الذهنية المغربية.

بمناسبة انعقاد الدورة الثانية والعشرين لمؤتمر المناخ بمراكش نوفمبر 2016.

والمطلوب من ذوي الاختصاص بناء برامج توعوية وتواصلية، وعقد ندوات ولقاءات،

ونشر مقالات على أعمدة الصحف ومواقع التواصل الإلكترونية، من أجل بناء وعي بيئي مشترك يعم كل جهات المغرب، وينتظم كل فئاته الاجتماعية.

ومن أجل الإسهام في عملية التحسيس هذه، فإن الاشتغال على الجانب الديني يأتي على رأس الأولويات، اعتبارا لما للدين من قدرة فائقة على مخاطبة النفس، وعلى الإلزام بأحكام البيئة والخروج بها من مستوى التوصيات العادية، إلى جعلها حالة تدينية يرى المسلم معها أن الالتزام بالتوصيات البيئية هو طاعة لله وقربة إليه، قبل أن يكون ائتمارا بتوصيات عادية.

إن ميزة التوجيه الإسلامي في موضوع البيئة وغيره أنه يستمزج الجانب الديني وهو يدعو إلى الحفاظ على كل مكونات البيئة، ومن ثم يعتبر المسلم حفاظه على البيئة ضربا من العبادة يشمله حكم التكليف الشرعي الذي اعتاد المسلم أن يؤديه عن طواعية واختيار، ليجد في تلك الممارسة لذة الطاعة، ويحس بالرضا عن الفعل، فتهون لديه التضحيات.

إن من أمثلة المزج السلس بين الديني والمدني في قضية المحافظة على البيئة أن الإنسان المسلم قد يؤدي فريضة الوضوء من حيث هي طاعة لله، وهو يراعي في الوقت نفسه ضرورة الاقتصاد في استعمال الماء وعدم الإسراف فيه ولو كان على نهر جار، وقد يدري أو لا يدري أنه ينسجم بذلك السلوك الديني مع توصيات حماية البيئة التي أصبحت تلح على ترشيد استعمال الماء وعدم إهداره. بعد أن لاحت مؤشرات شحة المياه القادمة، وغدت تهدد مستقبل البشرية، وتنذر باندلاع حروب المياه المستقبلية.

ومن أمثلة مراعاة البيئة في فريضة الوضوء أن المسلم يعرف أن الوضوء لا يصح بالماء المتغير والممتزج بما ليس من طبيعته، ولو أنه غير نجس، فيكون المسلم بذلك ساعيا إلى الحفاظ على نقاء منابع المياه ومجاريها، وبهذا تتماهى أحكام العبادة مع توصيات حماية البيئة من هذا الجانب.

وجدة، في: 21 شوال 1437 هـ
الموافق لـ 26 يوليوز 2016 م

وكتبه: مصطفى بن حمزة

الإطار الفكري والعقدي
لحماية مكونات البيئة

مما يتعين لفت النظر إليه هو أن الإسلام لم يكتف بإقامة تصوره عن حماية البيئة على أحكام فقهية جزئية فقط، وإنما أرسى تصوره البيئي على أسس وقواعد فكرية وعقدية متينة هي أسمى قيمة وأرسخ وجودا وأكثر يقينية من الأحكام الجزئية. وبذلك كان التصور البيئي الإسلامي قويا، لأنه مسنود بحقائق الفكر والعقيدة، ولأنه متغلغل في النفس تغلغل العقيدة في كل مسارب النفس وحناياها.

والقواعد الفكرية التي أقام عليها الإسلام أحكام البيئة هي قواعد عقدية كلية تستوعب حالات لا تحصى من قضايا البيئة.

وإذا لم يكن بالإمكان استعراض أكثر هذه القواعد، فإن بالإمكان الاجتزاء بتقديم بعضها مما يقوم مقام الشاهد والنموذج الذي يمكن التفريع عليه، والنسج على منواله، والتوسع فيه من أجل مواجهة مستجدات قضايا البيئة.

الحقيقة العقدية البيئية الأولى: حقيقة حكمة الخلق

هذه حقيقة عقدية ركزها الإسلام في العقل المسلم بحيث لا يستقيم المعتقد مع خلو الذهن منها.

ومؤداها أن الله خلق المخلوقات لحكمة اقتضتها مشيئته وعلمه وأوجدتها إرادته، فكان لكل مخلوق في هذا الكون وظيفة يؤديها للمنظومة كلها. وقد لا يعرف الناس قيمة وجود ذلك الكائن، لكن نتائج سيئة تلاحق الإنسان حينما يستهين بذلك المخلوق، ويلغي وجوده.

وقد يبدو ذلك المخلوق المستهان به صغيرا في حجمه أو عديم الفائدة، وقد يكون أحد تلك المخلوقات التي لا يأبه الإنسان لوجودها، وقد يتضايق من وجودها أصلا فيعمل على إفنائها، ومنها مخلوقات كثيرة كالجراثيم والطفيليات والحشرات والزواحف والطيور والسموم وغيرها.

وقد تبين ولكن بعد زمن متأخر أن دورة الحياة تقوم على توازن بين الموجودات،

وأن الإخلال بالمكونات نتج عنه خلل كلي أصبح الإنسان يعاني آثاره ويؤدي ثمنه الباهظ من صحته وعافيته.

فقد أدت إبادة دود الأرض إلى أن عقمت الأرض بعد أن فقدت المواد العضوية التي كانت الديدان تزودها بها.

وكانت عمليات إبادة الطيور مخلة بالتوازن، لأنها أتاحت أن تكثر بعض الحشرات بما يزيد عن قدر الحاجة إليها.

وأدت إبادة الغطاء النباتي، واقتلاع الأشجار إلى بقاء الغازات السامة فرفعت من درجة الاحترار، وأحدثت اضطرابات إيكولوجية عارمة، كان من أثرها نشوء العواصف الشديدة والفيضانات الكاسحة وغيرها من الآثار التي لم تكن في حسبان الإنسان، ولم يكن الإنسان يدري أن الكون كان محروسا بحكمة الخلق وبتبادل الوظائف بين مكوناته.

لقد حرص القرآن الكريم في آيات عديدة على التنبيه إلى حقيقة حكمة الخلق لما لها من الأهمية، ولما يترتب عن الوعي بها من انتهاج أسلوب احترام البيئة وحمايتها.

ومن الآيات الدالة على حكمة الخلق، وهي في القرآن كثيرة قول الله تعالى: ﴿**وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ [الدخان 39].

وفي الآية تصريح واضح بأن حكمة الخلق تشمل السماوات والأرض وما بينهما، فلا يخلو منها شيء من المخلوقات.

وفي الآية إشارة أخرى إلى أن أكثر الناس لم يدركوا حكمة الخلق، وذلك قوله تعالى: ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾.[الدخان 39]. وهؤلاء الذين لا يعلمون، هم الذين أطلقوا أيديهم في المخلوقات بالتغيير وبالإبادة والتدمير، حتى آل الأمر إلى الحال التي أصبح الناس فيها يتنادون إلى ضرورة إنقاذ المناخ إنقاذا لحياة الإنسان

نفسه، وأعلن يوم 05 يونيو يوما دوليا للتحسيس بضرورة الحفاظ على البيئة.

وفي الآية السابقة إشارة قوية إلى أن الجهل هو مبعث الاستهانة بحكمة الخلق، وهو الذي يهون على الإنسان أن يخل بمكونات البيئة، وبناء عليه، فإن مقاربة الحفاظ على البيئة يجب أن تكون أولا مقاربة معرفية قبل أن تكون مقاربة قانونية أو إجرائية.

ومن الآيات المتناولة لموضوع حكمة الخلق قول الله تعالى: ﴿**وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**﴾. [ص 27].

ومنها قول الله تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾. [القمر49].

وقوله تعالى: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾. [الفرقان 2].

وقوله تعالى: ﴿**صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾ [النمل 90].

وحين اقتنع الإنسان المسلم بحكمة الخلق، وعلم أن الاعتداء على الكائنات هو إنكار لتلك الحكمة وتعطيل لمراد الله منها، فإنه قد سعى إلى الحفاظ على مكونات البيئة، ومن ضمنها الحيوان والأشجار والمياه وغيرها.

وهذا الاعتقاد هو الذي يفسر لما ذا تضمنت كتب الفقه أجوبة تمنع قتل الحيوان لمجرد اللهو والعبث به، وهو ما يوجد منصوصا عليه ومفصلا خصوصا في باب الصيد من الكتب الفقهية.

وقد اتفقت كلمة الفقهاء على أنه لا يجوز اقتناص الحيوان لمجرد اللهو به، وأنه يجب استحضار ما للحيوان من نسل، فأوجبوا على من يحلب الشاة أو البقرة أن يبقي لأولادها ما تعيش به، وأوجبوا على من يشتار العسل من خلية النحل أن يبقي بعضه ليعيش به النحل، ومثل هذا في أحكام الفقه كثير، وهذا ما يفيد أن التربية البيئية قد امتزجت بالتربية الدينية، وأن الإخلال بالبيئة عند المسلمين إنما نتج عن ضعف التربية الدينية أصالة.

وفي كتب التراث مواقف كثيرة عبر فيها الإنسان عن مستوى عال من احترام مكونات البيئة، من أبرزها أن الشاعر عروة بن الورد كان يفاخر بأنه كان يقاسم الحيوانات طعامه حفاظا على حياتها، بل إنه كان يتنازل لها عن طعامه إذا شح الطعام في الأزمنة الباردة فيدعه لها، بينما يكتفي هو بشرب الماء البارد، يقول عروة:

أقَسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قَراح الماء والماء بارد[1]

وتعبيره بأنه يقسم جسمه ويوزعه في أجسام الحيوانات، تعبير عن درجة إنسانية عليا في الحفاظ على بعض مكونات البيئة.

ونظير قول عروة بن الورد ما قاله الشنفرى وهو يفاخر بأنه يتأخر عن الطعام حتى لا يضايق من يعايشهم من حيوانات، منها ذئب عملس، وثعلب زهلول، وضبع جيأل، فيقول:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل[2]

والأمثلة على هذا السلوك في الأدب العربي قبل الإسلام وخلاله أمثلة كثيرة.

الحقيقة الثانية: قانون العناية الإلهية

يرد الحديث عن مفهوم العناية الإلهية في مصادر العقيدة حين يستدل بها على وجود الله، ويسمى دليل العناية، ومعناه أن أجزاء الكون تترابط فيما بينها بعلاقات وظيفية تشكل في الأخير شبكة واسعة ومنظومة مترابطة الأجزاء، وقد صممت على نحو يسمح بأن يكون بينها انسجام وتناسق لتؤدي وظائفها لصالح الكون عموما، وللإنسان خصوصا.

لقد فصل ابن رشد القول في دليل العناية، وذكر أنه طريقة للاستدلال، وذكر أن مظهر العناية أن جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان، وأن هذه الموافقة هي من قبيل فعل فاعل قاصد لذلك، إذ لا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق أي المصادفة، وكونها موافقة لوجود الإنسان ملاحظ بوجود الليل والنهار والشمس

1 - ديوان عروة بن الورد ص 29 دار صادر بيروت.

2 - ديوان الشنفرى تحقيق د إيميل بديع يعقوب ص 59 دار الكتاب العربي 1996

والقمر، وكذلك الأزمنة الأربعة والمكان الذي هو فيه أيضا، وتظهر الموافقة أيضا بالنسبة لكثير من الحيوان والنبات والجماد[1].

وبمقتضى دليل العناية يستنتج أن كل مكونات البيئة هي ضرورية لبعضها ولاستمرار الحياة فيها، ومن التنكر لدليل العناية أن يعمد الإنسان إلى خرْم بعض مكونات البيئة وإزالتها، بدعوى أن وجودها غير ضروري.

وعلى هذا الأساس العقدي، فقد أصبح الحفاظ على مكونات البيئة قضية هي أسمى من أن تكون جزئية بيئية، لما صارت جزءا من المعتقد.

الحقيقة الثالثة: حقيقة وحدة الأصل الجامع بين الإنسان وباقي مكونات المجال

إن الإنسان إذا كان مخلوقا مكرما خصه الله بالعقل وحمله الأمانة، فإن ذلك لا يلغي حقيقة أخرى هي أنه مرتبط مع باقي الكائنات برباط وحدة الخلق، وهو شريك لها في هذه الدائرة.

وقد تحدث كتاب الله عن وحدة المخلوقات فقال: ﴿**وما من دابة في الأَرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أَمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾. [المائدة 38].

فالإنسان مخلوق لله، مثلما أن كل الكائنات هي أيضا مخلوقة له، وهو لذلك عبد لله كغيره من الكائنات، يقول الله تعالى: ﴿**إنْ كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**﴾.[مريم 95].

وللإنسان اشتراك مع غيره من الكائنات في مواصفات مشتركة كثيرة، فإذا كان الإنسان هو نفسه حيوانا له صفات التغذي والنمو والتناسل، فإن هذه الصفة تضعه ضمن دائرة واسعة تضم معه كل الحيوانات، وللإنسان بسبب هذا الاشتراك قرابة وصلة بالحيوانات أوجب الإسلام رعايتها، وقد جاء في الحديث أنه: "**في كل ذات كبد**

---

1 - الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لأبي الوليد بن رشد تحقيق محمد عابد الجابري ص 118. مركز الدراسات الوحدة العربية. ط.3. 2007

رطبة أجر"[1]. وذات الكبد الرطبة تعبير نبوي عن الحيوان في مقابل النبات والجماد.

وقد رتب الفقه على هذه الصلة الجامعة بين الإنسان والحيوان أحكاما ملزمة حتى لا يظل الاهتمام بالحيوان مجرد نصائح غير ملزمة هي رهن مشيئته وطوع هواه، ومن أمثلة تلك الأحكام التي تكتسي طابع الوجوب والإلزام، أن الفقهاء قالوا: إن من امتلك حيوانا وجب عليه إطعامه، وإذا انعدم الكلأ تأكد في حقه علفه، وإذا لم يفعل ذلك تدخل القضاء فألزمه بذلك، أو بيع عليه الحيوان.

جاء في شرح الدردير على مختصر خليل: إن نفقة الدابة إن لم يكن مرعى واجبة ويقضى بها، لأن تركه منكر، وإزالته تجب بالقضاء. ودخل في الدابة هرة عميت، فتجب نفقتها على من انقطعت عنده بحيث لم تقدر على الانصراف[2].

وفي كتب الفقه مباحث أخرى تلزم بالعناية بالطيور وبالحيوانات على اختلافها.

وقد استقر في اعتقاد المسلمين أن الله قد يعاقب عن إيذاء الحيوان مثلما يعاقب عن إيذاء الإنسان، ومن شواهد هذا الاعتقاد أن الإمام الزمخشري المفسر كان رجلا أعرج قطعت رجله. وقد سأله الفقيه الحنفي الدامغاني عن سبب قطع رجله فقال: إن سبب ذلك هو أنه كان يعبث بطائر صغير حتى قطعت رجله فمات، فكان أن عاقبه الله بقطع رجله[3].

ومهما يكن الأمر، فإن الخبر يفيد أن الزمخشري كان يعتقد جازما أن الله ينتقم للحيوان من الإنسان.

الحقيقة الرابعة: سعي الإسلام إلى بناء علاقة حميمية بين الإنسان ومكونات البيئة

تبعا لاقتناع الإنسان المسلم بأن الكائنات هي مجلى حكمة الله تعالى، وأنه يشترك معها في العبودية وفي وحدة الأصل، وأنه قريب منها جدا. فقد استتبع ذلك

---

1 - صحيح البخاري كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم.

2 - حاشية الدسوقي على شرح الدردير 2/ 522 دار الفكر

3 - معجم الأدباء لياقوت الحموي تحقيق د إحسان عباس 6/ 2688 دار الغرب الإسلامي 1993

أن تكون له علاقة حميمية تصله بها، ولتثبيت هذه العلاقة فقد جاءت في القرآن والحديث تعبيرات كثيرة تؤسس لعلاقة حميمية بين الإنسان وبعض مكونات البيئة، ومنها:

أ. علاقة الإنسان بالأرض

إن الله تعالى بين أن العلاقة بين الإنسان والأرض، وهي من أكبر مكونات المجال وأقربها إلى الإنسان، هي علاقة وثيقة تبتدئ من النشأة لتمر بالاستقرار، ثم الاحتضان النهائي لجثة الإنسان.

وقد ذكر الله تعالى أن مادة جسم الإنسان الأولى هي التراب الذي أضيف إليه الماء فصار طينا، ثم سخن بالنار فصار فخارا متصلبا، يقول الله تعالى: ﴿**والله خلقكم من تراب**﴾.[فاطر 11]. ويقول: ﴿**إنا خلقناهم من طين لازب**﴾.[الصافات11]. ويقول: ﴿**خلق الانسان من صلصال كالفخار**﴾. [الرحمن 14].

وبسبب أن الإنسان جزء من مادة الأرض، فقد احتوى جسمه على العناصر والمعادن الموجودة في الأرض، وصار وجود المعادن فيه سبب قوته ونشاطه.

وبعد نشأة الإنسان الأولى، فإن الأرض تحمله عبئا عليها وتوفر له غذاءه وماءه ولباسه ومأواه، كما توفر له من معادنها ومن ثرواتها ما هو سبب قوته وثرائه وتنعمه.

وحين تنتهي رحلة حياة الإنسان، فإن الأرض هي التي تضم رفاته وتحتضن جسده وتستره داخلها، يقول الله تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ . [طه:55].

ولهذه العلاقة الحميمية الوثقى فقد رأى الناس في الأرض أنها أم رؤوم وقلب حان، وخاطبوها بهذا فقال أبو القاسم الشابي:

وقالت لي الأرض لما سألت أيا أُمُ هل تكرهين البشر[1]

---

1 – ديوان أبي القاسم الشابي قصيدة إرادة الحياة ص 199 إعداد أبي القسام كرو دار صادر بيروت 1999 .

ب. علاقة الإنسان بالقمر

وعلى نحو ما وثق القرآن العلاقة الحميمية بين الإنسان والأرض، فقد جاء على لسان رسول الله ﷺ ما عبر عن توثيق العلاقة الحميمية بين الإنسان والهلال وهو من مكونات المجال، وقد كان عليه السلام إذا رأى الهلال خاطبه قائلا: **«هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، هلال خير ورشد»**[1]. وفي حديث آخر كان يقول: **«ربي وربك اللّه»**[2].

وهذه المناجاة النبوية هي موجهة بالأساس لمن كان حول رسول الله ﷺ، ولكل من يصله هذا الخطاب، ليدركوا جميعا نوع العلاقة القوية الرابطة بين الإنسان والهلال، وهي علاقة يعلن عنها الرسول ﷺ بقوله: **«ربي وربك اللّه»**. وهي تعني إعلان الاشتراك في المخلوقية وفي العبودية لله، وهي تقتضي أن يكون كل مخلوق عابدا لله شاكرا له على النحو الذي يناسب طبيعته وتكوينه.

ج. علاقة الإنسان بباقي الجمادات

ترد في نصوص عديدة تعبيرات أخرى تعلن عن علاقة حميمية بين الإنسان وباقي الجمادات منها أن النبي ﷺ طلع له أحُد فقال:**"هذا جبل يحبنا ونحبه"**[3].

وعلى الرغم من أن جبل أحُد هو جماد لا يعي الخطاب، فإن قصد الخطاب النبوي هو أن النبي ﷺ كان يحب أحُدا مثلما كان يحب مكة ويهفو إليها، ومثلما كان يحب كل الأماكن التي شهدت صباه، وكان يشتاق إليها.

ومستفاد الحديث أن الحب شعور إنساني لا يقتصر على البشر، وإنما يتسع في القلوب الكبيرة ليعم كل مكونات المجال الحية والجامدة منها.

---

1 - سنن أبي داود كتاب الأدب باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال.

2 - سنن الترمذي كتاب الدعوات باب ما يقول عند رؤية الهلال.

3 - صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم.

الحقيقة الخامسة: اندراج الحفاظ على مكونات البيئة ضمن مشمولات التكاليف الشرعية

لما ثبت أن وجود المخلوقات ليس عاريا عن حكمة، وأن لكل منها وظيفة يؤديها ضمن منظومة المخلوقات كلها.

فقد ألزم الإسلام بالمحافظة على كل مكونات البيئة، ومنع من إفنائها إلا ما احتيج إلى إزالته بحكم الضرورة لإقامة حياة الإنسان، أو لدفع خطر عنه.

فقد جاء في الحديث النبوي أن الرسول ﷺ قال: "**خمس من الدواب كلهن فاسق يُقتلن في الحرم، الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور**"[1].

وهذه الدواب المأذون بقتلها منها القاتل بطبيعته كالعقارب والثعابين السامة، ومنها ما يشكل خطرا على محاصيل الإنسان وثروته، وما بيده من الحيوانات، ومنها الحِدأة والفأرة، وقد ألحق الفقه بهذه الحيوانات كل ما كان فيه خطر على الإنسان، لكن الفقه الإسلامي مع ذلك لا يطلق في الحكم وإنما قال: إن هذه الحيوانات الضارة لا تقتل فورا ، وإنما تمكن من الفرار والنجاة بنفسها، إلا إذا خيف أن تقتل شخصا آخر، لأن هذه الحيوانات ليست ضارة حينما تكون في مكانها الطبيعي، فالأسود والنمور والدِّبَبَة في أماكنها الطبيعية جزء من المجال، وخطرها على الإنسان لا يتحقق إلا إذا دخل عليها مجالها، أو طاردها في مواقعها أو اقتحم عليها مخابئها.

يقول ابن رشد: نهى رسول الله ﷺ عن قتل حيات البيوت.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع النملة والنحلة والهدهد والصرد[2].

وقد أصبح دعاة حماية البيئة ينشؤون محميات طبيعية لحيوانات كاسرة خشية انقراض أنواعها.

---

1 - البخاري كتاب جزاء الصيد باب ما يقتل المحرم من الدواب.

2 - المقدمات الممهدات لأبي الوليد ابن رشد تحقيق د محمد حجي 3/ 469 ط دار الغرب الإسلامي 1988

مظاهر حماية الإسلام للبيئة

بعد أن تبين أن الإسلام قد أرسى قواعد فكرية تنبثق عنها جزئيات كثيرة من الأحكام ذات صلة بموضوع حماية البيئة، فإنه يتعين الحديث عن بعض الأحكام التي أبرزت حماية الإسلام لمكونات البيئة، وهي أحكام كثيرة منثورة في أبواب الفقه الإسلامي، يصعب تتبعها وتقصيها، وإن كان بالإمكان تصنيفها حسب موضوعاتها الكبرى، لذلك فسوف أتحدث عن موضوعات عريضة هي:

1.حماية الإسلام لمكون الحيوان من مكونات البيئة.

2.حماية الإسلام لمكون الغطاء النباتي من مكونات البيئة.

3.حماية الإسلام لمكون الماء من مكونات البيئة.

أولا: حماية الإسلام لمكون الحيوان من مكونات البيئة

1. إشادة الإسلام بأهمية وجود الحيوان في حياة الإنسان

لما سعى الإسلام إلى حماية الحيوان، فإنه قد اعتمد أسلوبا راقيا وجذابا في لفت نظر الإنسان إلى ضرورة استبقاء الحيوان إلى جواره، اعتبارا لما يؤديه له من خدمات كثيرة تقوم عليها حياة الإنسان أو تحقق له الراحة والتنعم، أو تضفي على حياته مسحة جمالية.

إن أحاديث القرآن الكثيرة في نصوص عديدة عن مزايا الحيوان تخلص منطقيا إلى إقرار حقيقة خطورة تفريغ البيئة من وجود أي نوع من أنواعه، ما دام كل نوع يحقق غاية تبرر وجوده وبقاءه، وتجلي الحكمة من خلقه.

إن تصريحات القرآن وإشاراته المتعددة المتعلقة بالحيوان يجب أن تترجم عمليا على أنها دعوة قرآنية إلى حماية الحيوان، وإلى عدم السماح بإبادة أي نوع منه.

ولكثرة هذه التصريحات والإشارات القرآنية، فقد وقف الإنسان المسلم وقفات تأمل عميقة نظر فيها في جسم الحيوان وفي وظائفه، وفيما أودع الله فيه من أسرار الخلق.

وقد كان أبو حامد الغزالي متألقا في كتابه الحكمة في مخلوقات الله، وقد تحدث فيه عن الحكمة في خلق السماء وما فيها من نجوم[1]. وعن الحكمة في خلق الشمس[2]. وعن الحكمة في خلق القمر والكواكب[3]. وعن الحكمة في خلق الأرض[4]. وعن الحكمة في خلق البحر[5]. وعن الحكمة في خلق الماء[6]. وعن

1 - الحكمة في مخلوقات الله لأبي حامد الغزالي ص 15 تحقيق محمد رشيد قباني دار إحياء العلوم بيروت 1978.
2 - الحكمة في مخلوقات الله ص 18 .
3 - الحكمة في مخلوقات الله ص 23 .
4 - الحكمة في مخلوقات الله ص 27 .
5 - الحكمة في مخلوقات الله ص 33 .
6 - الحكمة في مخلوقات الله ص 36 .

الحكمة في خلق النار[1]. وعن الحكمة في خلق الإنسان[2]. وعن الحكمة في خلق الطير[3]. وعن الحكمة في خلق البهائم[4]. وعن الحكمة في خلق الحشرات، ومنها النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب[5]. وعن الحكمة في خلق السمك[6]. وعن الحكمة في خلق النبات[7].

وبهذا يكون أبو حامد الغزالي قد غطى بتأملاته العميقة أهم مكونات المجال، وأبرز ميزاتها وما أودعه الله فيها من حكمة تحقق مصلحة الإنسان في نهاية المطاف، وبها تستوجب بقاءها والمحافظة عليها.

وبهذا يكون كتاب الحكمة في مخلوقات الله للغزالي كتابا إيكولوجيا رائدا فتح الأبصار على مميزات كثير من مكونات البيئة، وأظهر ما تؤديه للإنسان من خدمات يستخلص منها في نهاية المطاف ضرورة حمايتها وعدم السماح بالمساس بها.

2. حديث القرآن عن خلق الحيوان

لقد وقف القرآن مع حيوانات عديدة لها صلة وثيقة بحياة الإنسان، وأبرز الكثير مما يفيده الإنسان من وجودها، ومنها:

أ.تدبر خلق الحيوان مدخل إلى تعزيز الإيمان

يقول الله تعالى: ﴿**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت**﴾.[الغاشية: 17].

وهذه دعوة إلى نظر فكري يغوص في ما وراء المادة، لأنها دعوة إلى نظر يتجه إلى البحث عن الكيف، والبحث عن الكيف هو بحث عن أسرار الخلق، وهو أيضا سؤال

1 - الحكمة في مخلوقات الله لأبي حامد الغزالي ص 42 .
2 - الحكمة في مخلوقات الله ص 45 .
3 - الحكمة في مخلوقات الله ص 71 ..
4 - الحكمة في مخلوقات الله ص 79 .
5 - الحكمة في مخلوقات الله ص 89 .
6 - الحكمة في مخلوقات الله ص 97 .
7 - الحكمة في مخلوقات الله ص 101.

عن الغاية والماهية، وكل ذلك يتجاوز حدود النظر العادي، لأن الله لم يقل: أفلا ينظرون إلى الابل في ذواتها. وإنما دعا إلى النظر في كيفية خلقها فقال: كيف خلقت؟.

وحينما ينظر الإنسان إلى كيفية خلق الإبل، فإنه يفتح عينيه على كيفيات كثيرة في أجسام الإبل، فيرى كيف أنها مصممة على هيئة تؤهلها لأن تعيش في عمق الصحراء، فأرجلها تنتهي بأخفاف هي شبيهة بالوسائد التي تنتشر على الرمال ولا تغوص فيها، وهي تمتص أثر اهتزاز جسم الجمل، فلا يتسلل إلى جسم الإنسان الراكب عليه، فتكون بذلك شبيهة بنوابض السيارات المصممة للسير على رمال الصحراء، ويرى المتأمل أن أجسام الإبل تستبطن خزانات للماء، تشبه خزانات السيارات التي تقطع مسافات بعيدة لا تجد فيها مكانا للتزود بالماء أو الوقود، وبهذا كان الجمل صبورا على احتمال العطش، وحينما يتأمل الإنسان أجسام الإبل، فإنه يرى كيف أنها كسيت وبرا تقاوم به برد ليل الصحراء القارس، ويرى كذلك ما خصها الله به من قدرة على تعرف الطريق، وعلى شم الرطوبة المنبئة عن وجود الماء، ويرى غير ذلك من الأسرار التي تلغي احتمال العبث أو الصدفة في الخلق.

وفي معرض توجيه القرآن فكر الإنسان إلى عالم آخر هو عالم الطير، يقول الله تعالى: ﴿**أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافاتٍ ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن**﴾. [الملك 19].

وفي عالم الطير أسرار من الخلق، وقد أشار القرآن إلى أن الطيور السابحة في جو السماء تصف أجنحتها ثم تقبضها إلى جسمها، فتحدث بذلك الخفقان حركة الطيران، ويتحقق التوازن حين تفتح أجنحتها وتصفها، مثلما يفعل المظليون إذا قفزوا من الطائرات، وحركة القبض والصف تخولها وتتيحها دقة خلق أجسام الطيور، فأجسامها ذات هيئة انسيابية تسمح لها باختراق الجو، وريشها الأملس يساعدها على النفوذ في الهواء، وخوافيها وريشها يحققان لها التوازن، وذيلها يحدد وجهة الطيران، وغددها تفرز مادة زيتية تمنحها البريق واللمعان، وعظامها المجوفة تخفف وزنها،

وبهذا الخلق كانت الطيور قادرة على الطيران وعلى السبح الطويل في أجواء السماء، لذلك قال الله تعالى: ﴿**ما يمسكهن إلا الرحمن**﴾.[الملك 19].

ب. التذكير بتعليم الحيوان الإنسان بعض أنواع السلوك

من قبل أن تكون للإنسان قدرة على ترويض الحيوان وتدجينه وتعلميه بعض أنواع السلوك، فقد سبق أن كان الحيوان هو من علم الإنسان، وقد ذكر القرآن أمثلة، منها قصة ابني آدم لما قتل أحدهما أخاه، ثم أعياه أن يخفي جثته، فأراد الله تعليمه، ولكن بوساطة من الطير، فبعث الله غرابا بحث في الأرض وحفر فيها، ثم دفن أخاه الغراب، فقال الأخ القاتل عندما أدركته الحيرة، واضطرب بين إحساسه بحميمية الأخوة التي تملي عليه الاحتفاظ بجسم أخيه، وبين إرادة التخلص منه تفاديا لتعفنه وتحلله: ﴿**ياويلتى أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي**﴾.[المائدة 33].

وفي القرآن حديث آخر عن الخبر الذي حمله الهدهد إلى سليمان، وقد أدى له إفادات قيمة، وعبر تاريخ طويل ظل الإنسان يستفيد من سلوك الحيوان ويستمد منه دروسا في الدأب ومواصلة العمل. وقد كاد الإحباط يدرك الإسكندر بعد إحدى غزواته، لكنه لاحظ إصرار النمل على العمل ومعاودته الفعل، فعزم على ألا تكون إرادته أقل من إرادة النمل، فأعاد الكرة حتى حقق الانتصار، وقد استفاد الإنسان من الطير فكرة الطيران، فحاول أن يقلده لكنه أخفق مرات، ثم اهتدى أخيرا إلى صناعة الطائرة استلهاما من جسم الطائر بما له من أجنحة وذيل وهيكل انسيابي ليس فيه زوايا تعوق السبح في الهواء.

وتعلم الإنسان من سلوك النحل تنظيم الجماعة والانضباط ودقة صنع الخلايا، ثم قلد الإنسان النحل فصنع شمعا اصطناعيا استفاده من صنع النحل للشمع.

ولا زالت أجهزة الأمن والشرطة العلمية وأجهزة محاربة المخدرات تستفيد من خبرة الكلاب، وتستعين بها في الكثير من أنشطتها.

وتعلم الإنسان من الحيوان دروسا في الوفاء، والصداقة المتينة، وظل الكلب رمزا لهذه المعاني، ولذلك سمت العرب أبناءها باسم كلب أو كلاب، وكان اسم الكلب موحيا بالمعاني الجميلة حتى أصبح الإنسان الوفي يشبه به، فيقول علي بن الجهم:

أنت كالكلب في حفظك للود وكالتيس في قِراع الخطوب[1]

ج. التذكير بإسهام الحيوان في النهضة التي حققها الإنسان

لقد كانت مرافقة الحيوان للإنسان في عيشه عاملا حاسما في تطوير واقع الإنسان وترقيته، وقد تساءلت بعض الدراسات الأنتروبولوجية عن أهم إنجاز كان له الأثر الأكبر في تطوير حياة الإنسان، وقدمت أجوبة كثيرة، من جملتها أن اختراع العجلة أو تمرير قنوات الصرف الصحي كان له الأثر الأكبر في تطوير حياة الإنسان، لكن الجواب الأهم والأجدر بالقبول، هو أن تدجين الحيوان كان هو منطلق التمدن والتطور.

فحين دجن الإنسان الإبل وروض الخيل والبغال والحمير والثيران والفيلة، فإنه قد خطا بذلك خطوة شاسعة على طريق التمدن وإنشاء الحضارة، لأن هذه الحيوانات هي التي حملت الأثقال، وروجت التجارات ومكنت من تطوير الصناعات، وقربت المسافات البعيدة، وأعانت الإنسان على تحقيق الانتصارات العسكرية، ومكنته من الوصول إلى جهات نائية استجلب منها تجاربها وخبراتها وأساليبها في العيش وفي السلوك الاجتماعي، وطرائقها في الفلاحة والصناعة، يقول الله تعالى عن هذه الحقيقة بالنسبة للأنعام: ﴿**وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس إن ربكم لرؤوف رحيم**﴾.[النحل 7].

وحين اخترع الإنسان العجلة، فإن ذلك لم يكن مفيدا لولا سبق وجود الحيوان الذي باستطاعته أن يسحب العجلة ويجر العربة، ولم يزل الأمر كذلك حتى اخترعت المحركات فحلت محل الحيوان في أكثر أنشطته.

1 - ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك ص 117 منشورات دار الآفاق بيروت.

د. التذكير بتأثيث الحيوان لجمالية المجال

في آيات كثيرة يقف القرآن على جانب الجمال في بعض الحيوانات التي ترافق حياة الإنسان يقول الله تعالى: [**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تَسرحون**﴾.[النحل 6]. ويقول أيضا: ﴿**والخيلَ والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**﴾. إن مرأى الجمال في الحيوان يستشعره ويقدره الذين يعايشون بعض الحيوانات ويغفل عنه غيرهم، لذلك لفت القرآن النظر إليه، وذكر القرآن أن سليمان عليه السلام كان يستمتع باستعراض الخيل، فقال الله تعالى: ﴿**ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عُرض عليه بالعشي الصافناتُ الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب**﴾.[ص 31].

والصافنات الجياد هي الخيل التي تقف على ثلاثة قوائم وعلى طرف حافرها الرابع، وهي من أجود أنواع الخيل، ووقفتها تلك فيها جمال وأناقة.

وقد أفاد القرآن أن التعلق بالجمال في الحيوان هو من فطرة الله في النفوس السوية جبل عليه الإنسان، لكنه قد يشغل عنه بولعه الشديد بكل ما هو مادي وكثيف وقوي، ومن ثم تنحرف فطرته ويفقد حاسة إدراك الجمال في الحيوان. يقول الله تعالى: ﴿**زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث**﴾ [آل عمران 14].

وأخذا من حديث القرآن عن الخيل ووصفها بأنها زينة في قول الله تعالى: ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**﴾. فقد ذهب مالك إلى القول بكراهية أكل لحمها، لأن القرآن اعتبر الجمال مزية فيها، ولم يعتبر الأكل مزيتها، مثلما اعتبره في الأنعام لما قال: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون**﴾[1].

ولعل هذا الاستنباط الذي رجح به مالك كراهية أكل لحوم الخيل هو الذي

1 - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي تحقيق: محيي الدين ديب ويوسف علي بديوي 5/ 228 دار ابن كثير دمشق 1996.

وفر الخيل في العالم الإسلامي، فظلت كثيرة ومتنوعة تستعمل في الركوب وفي الفروسية وفي القفز على الحواجز وعلى برك المياه لرشاقتها وخفتها وذكائها وفي التجمل بها، وهو ما ساعد على إقامة مواسم محلية ووطنية للفرس تسحب خلفها نشاطا اقتصاديا معتبرا.

وكغيرها من الشعوب التي التحمت حياتها بالحيوانات، فقد اهتمت العرب بجانب الجمال المادي والمعنوي في الحيوانات، فأعجبت برشاقتها وعدوها والتفاتها، كما أعجبت بالجمال المعنوي فيها، فاشتقت الخيلاء من مشية الخيل، واشتقت الأنفة من أنف الجمل العالي، وسميت أنواع من التصرف بأسماء بعض الحيوان، فسمي التنازع على تحصيل المكاسب المادية تكالبا، أخذا من تهارش الكلاب على الطرائد.

أهمية حضور الحيوان في حياة الإنسان من منظور إسلامي

للحيوان حضور قوي في حياة الإنسان، وهو الذي واكب وجود الإنسان، فتغذى الإنسان من لحمه ولبنه ومشتقاته، ولبس من جلوده، واستدفأ من صوفه ومن شعره ووبره، واستكن واستظل بأخبية وخيام صنعها من جلده ومن شعره ووبره، واستفاد من قوة الحيوان وسرعته في حمل الأثقال وفي الانتقال إلى البلاد البعيدة، واستعمله الإنسان في حراسته وفي حروبه وفي احتفالاته، وتباهى بامتلاكه، وروح عن نفسه بملاعبته.

وكان للإنسان أوجه استفادة أخرى من الحيوان لا تكاد تحصى، وكل ذلك متولد عن نعمة واحدة هي نعمة التسخير الإلهي للحيوان.

وفي آيات كثيرة يعدد الله النعم التي أسبغها على الإنسان لما سخر له الحيوان ليؤدي له خدمات كثيرة أسهمت في رفع المشقة عنه، وفي تطوير حياته.

نجد نموذجا لهذا الاستعراض القرآني لمنافع الحيوان في قول الله تعالى: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل**

أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بِشِق الانفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ [النحل 7]، والآية تعرض المزايا التي أودعها الله في الحيوان لصالح الإنسان، ومن جملتها ما أودع فيه من جمال يستمتع به حين يستعرض الحيوانات وهي تذهب وتجيء أمامه.

إن المعهود من شأن القرآن أنه لا يفيض القول في موضوع معين إلا وهو يقصد إلى تحقيق غاية سامية هي بخصوص الآية السابقة بناء ثقافة الاهتمام بوجود الحيوان وإبقائه رفيقا للإنسان ومصاحبا له.

وتأسيسا على هذه الرؤية، فقد ألزم الإسلام بالكثير من التصرفات التي تؤول إلى معنى حفظ وجود الحيوان، وهذه التصرفات كثيرة لا يمكن أن أقدم عنها إلا أمثلة وعينات منها.

إن الإنسان وهو المكرم على الله قد يستوجب دخول النار بسبب تعريضه حيوانا للتعذيب أو الهلاك، وعلى النقيض من ذلك، فإنه قد يستحق مغفرة الله وعفوه وصفحه عن ذنوب عظيمة بسبب إحسانه إلى حيوان، وإنقاذه من هلاك كان مشرفا عليه.

ويمكن سوق نصين للحالتين السابقتين:

يقول الرسول ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها**»[1].

وقال في سياق آخر: «**بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فاستقت له به، فسقته إياه فغفر لها به**»[2].

إن الحديثين يعطيان فكرتين متناظرتين عن سلوكين مختلفين إزاء الحيوان، وقد أعقب كل سلوك منهما جزاء موافق، فعوقبت المرأة التي أجاعت هرة حتى قتلتها بأن كانت من أهل النار، وكان جزاء المرأة البغي أن غفر الله لها وتجاوز عن ذنوبها بسبب إنقاذها كلبا كان مشرفا على الموت.

---

1 - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم.

2 - صحيح مسلم كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

والحديثان لا يستفاد منهما أن الحيوان أفضل أو أكرم على الله من الإنسان، وإنما يستفاد منهما أن حياة الحيوان هي أيضا معتبرة عند الله، وأن التعامل معه هو في أصله تعامل مع الله لا مع الحيوان، لأن الله هو من خلق الحيوان وهو من يثيب أو يعاقب على التصرف معه، ومعنى هذا أن الله سبحانه قد ينتصر للحيوان ضد من يلحق به الضرر، ويؤكد هذا المعنى ما ذكره رسول الله ﷺ من أن الله يقتص للشاة الجَمَّاء من القرناء[1]. والشاة الجماء هي الشاة التي لا قرون لها، وهي تتعرض لاعتداء الشاة ذات القرون، ومع أن الحيوانات عجماء لا تعقل، فإن الله مع ذلك يقتص للمظلوم من ظالمه، وهذا يتوجه إلى الإنسان الذي يعي الخطاب ويتحمل التكليف لئلا يعتدي على الحيوانات، لأن الله ينتصر لها.

إن هذا المستوى من حماية الحيوان لا نظير له في أي منظومة حمائية للحيوان، لأن أكثر الأنظمة لا تزيد عن تعريض الإنسان للمساءلة القانونية الخفيفة في بعض الحالات، وقد لا تلتفت إلى الموضوع أصلا.

وبمقتضى الحديثين السابقين، فإن التعامل مع الحيوان يصبح سببا للقرب من الله ولنيل رضاه، ولذلك شاع عند المسلمين تجنب الإضرار بالحيوان، ووجدت في المجتمعات الإسلامية أوقاف مخصصة لإطعام الطيور في أزمنة البرد الشديد، ووجدت أوقاف أخرى يصرف رصيدها المالي على علاج الطيور المكسورة.

أ. الحفاظ على خلقة الحيوان مظهر طاعة الله

لقد شاع في ثقافات الإنسان القديمة أن يتدخل الناس في جسم الحيوان بأنواع من البتر والتشويه لا تدفع إليها ضرورة، ولا تدعو إليها حاجة.

يقول الرسول ﷺ ناهيا عن تشويه خلقة الحيوان: «**من مثل بذي روح ثم لم يتب مثل**

1 - مسند أحمد بن حنبل 2/ 363 دار الكتب العلمية بيروت

اللّه به يوم القيامة»[1]. والمثلة هي تشويه جسم الحيوان أو الإنسان، وقد كان تشويه جسم الحيوان يتم بصور عديدة، وقد يكون ببتر جزء من جسمه أو بجَدع الأنف، أو الأذن أو غيرهما، وكان الناس في الجاهلية يفعلون ذلك، ويعتبرونه نوعا من العبادة والتقرب إلى الآلهة، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك فقال الله تعالى عن ذلك: ﴿**ما جعل الله من بَحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام**﴾ [المائدة 105].

وهذه أصناف من الإبل كان الناس يتصرفون في أجسامها، فيشقون آذانها ويقطعون مشافرها تقربا إلى معبوداتهم، فنهى القرآن عن ذلك .

ومن التصرفات التي شدد الرسول ﷺ النهي عنها وسم وجه الحيوان وكيه بالنار، روى مسلم عن النبي ﷺ أنه: «**مر عليه حمار قد وُسم في وجهه فقال لعن اللّه الذي وسمه**»[2].

وقد تأصل أن الكي في وجه الحيوان إذا كان لعلاج أو لوضع علامة ليعرف بها، فإنه يجب أن يكون في موضع لا يحس منه ألما، وأن يقتصر الكي على إحراق الصوف أو الشعر من غير أن ينفذ إلى الجلد[3].

من التوجيهات المتعلقة بالحفاظ على الحيوان نهي الرسول ﷺ عن اتخاذ الحيوان غرضا وهدفا للتدريب على الرماية.

وقد مر ابن عمر بأقوام قد نصبوا دجاجة يرمونها فقال من فعل هذا؟ «**إن رسول اللّه ﷺ: لعن من فعل هذا**»[4].

ب. حماية الحيوان من الألم

إن الآلام التي يمكن أن يلحقها الإنسان بالحيوان أكثر من أن تحصى، وقد نهى الإسلام عنها كلها، ومنها تسليط الجوع والعطش والتعب الشديد عليه، وقد

1 - مسند أحمد بن حنبل 2/ 92
2 - صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه وسمه فيه.
3 - إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض تحقيق د يحيى إسماعيل 6/ 646 دار الوفاء 1998. - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محيي الدين ميتو 5/ 438 دار ابن كثير دمشق 1999.
4 - صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة.

وجه النبي ﷺ إلى شيء منها فقال: **«لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي لأحاديثكم»**[1]. والمراد باتخاذ ظهور الدواب كراسي هو إطالة الركوب عليها من غير مشي، وعدم الاكتراث بما تعانيه من تعب لطول حملها لأناس يتلهون ويتسلون بتبادل الحديث بينهم وهم جالسون على ظهورها.

ج. الوجود الاعتباري للحيوان

من الإشارات القيمة التي جاءت في التوجيهات الإسلامية ما فعله رسول الله ﷺ لما سمع امرأة من الأنصار تلعن ناقتها، وقد كانت معه في ركب فقال عليه السلام: **«خذوها وما عليها ودعوها فإنها ملعونة»**[2].

وبهذا الإجراء النبوي تكون المرأة قد أضاعت على نفسها ناقتها بسبب اللعن الذي وجهته إليها، وهي عقوبة قوية في ردع الإساءة إلى الحيوان ولو باللفظ.

وثبت عن النبي ﷺ نهيه عن سب الديك وقد قال: **«لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»**[3].

ولا شك في أن الحيوانات لا تعي شيئا مما يوجه إليها من كلام، سواء كان سبا أو مدحا، فلذلك يكون معنى الحديث هو النهي عن تعود الإساءة اللفظية للحيوان، وهي إساءة تبدأ لفظية ثم تتصاعد لتصير إساءة مادية بالتجويع أو الضرب أو غيرهما.

إن من أثر النهي النبوي عن إيذاء الحيوان ولو باللفظ أن خلت الحياة الإسلامية من مشاهد الإساءة الجماعية للحيوان في المحتشدات العامة، على نحو ما يحدث في مجتمعات تتخذ من تعذيب الحيوان ملهاة للسرور في أعيادها ومناسباتها الاجتماعية، فتحرش بين الديكة أو التيوس، وتقيم حفلات مصارعة الثيران وقتلها بكيفية مؤلمة وبطيئة.

1 – مسند أحمد بن حنبل 3/ 439

2 – صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها

3 – سنن أبي داوود كتاب الأدب ، باب ما جاء في الديك والبهائم

د. التمثلات الفقهية للتعامل مع الحيوان

للإسلام توجيهات كثيرة بخصوص التعامل مع الحيوان حفلت بها نصوص الكتاب والسنة. وقد أطر الفقه الإسلامي تلك التوجيهات ضمن أحكام فقهية توزعتها مباحث الفقه الإسلامي، وهي أحكام كثيرة تشكل في مجموعها منظومة فقهية موضوعها التعامل مع الحيوان.

وحين يرتقي التوجيه ليصير فقها، فإن ذلك يضفي عليه صبغة دينية إلزامية كتلك التي يكتسيها أي حكم فقهي آخر. ومن آثار هذه الصبغة أن يكون للحكم امتداد ورسوخ في النفوس، فتستجيب له بكل طواعية واختيار بعيدا عن الإكراه.

ومن أثر هذا الامتداد أن ينسجم الفكر مع السلوك، وهذا على الخلاف مما يلاحظ من أن بعض المجتمعات قد تعج بجمعيات الرفق بالحيوان ويكون المنخرطون فيها كثيرين. لكن هذا لم يمنعها من أن تمارس ألعابا تعذب فيها الحيوانات كألعاب التحريش بين الديكة والتيوس ومصارعة الثيران.

وسر التناقض في موقف المناداة بحماية الحيوان مع التلذذ والتسلي بتعذيبه هو أن قضية حماية الحيوان ليست مستندة إلى معتقد راسخ، وإنما هي شعار غير متجذر ولا مكين في أعماق النفس.

من فقه التعامل مع الحيوان

يتضمن الفقه الإسلامي أحكاما كثيرة للتعامل مع الحيوان ويمكن تصنيفها إلى مجموعتين:

مجموعة أحكام حافظة لوجود الحيوان.

مجموعة أحكام محققة للرفق بالحيوان.

أ. الأحكام الحافظة لوجود الحيوان

ترد في توجيهات الإسلام أحكام كثيرة داعية إلى حفظ حياة الحيوان وإلى عدم الإجهاز عليه دون وجود داع يسوغ ذلك، ومن هذه الأحكام:

1 . تميز الإسلام بجعل الحرم المكي أول محمية للحيوان في العالم

من الأحكام التي أنشأها القرآن تخصيصه الحرم المكي بأن يكون أول محمية للحيوان البري يمتنع فيها الصيد، ما دام المرء محرما بحج أو بعمرة، يقول الله تعالى: ﴿**لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم**﴾ [المائدة 97]. ويقول الرسول ﷺ: «**إن هذا البلد حرمه اللّه يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة اللّه إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي. ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة اللّه إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرّفها، ولا يُختلى خلاها، فقال العباس يارسول اللّه إلا الإذخر، فإنه لقَينهم ولبيوتهم، فقال إلا الإذخر**»(1). وقد حرم الله الصيد الموجود في حرم مكة لمن كان محرما بحج أو بعمرة، ولمن كان حلا. ولهذا السبب فإن صيد مكة من طيور وحمام يعيش آمنا ويخالط الناس في الشوارع.

---

1 - صحيح مسلم كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام.

وقد نص الفقه على أن الحرمة لا تقتصر على مباشرة الصيد، وإنما تمتد إلى أفعال أخرى منها إيذاؤه وتنفيره وإزعاجه والمساعدة على صيده والدلالة على مكانه والإشارة بقتله[1].

وإذا أمسك الإنسان صيدا خارج الحرم لم يجز له أن يدخله الحرم، وإنما عليه أن يسرحه قبل دخوله الحرم[2].

وقد أوجب القرآن على المحرم بحج أو عمرة إذا قتل صيدا أن يفدي عما قتله، على أن يتم التقدير من عدلين يحددان قيمة ما قتله المحرم فيتصدق به. يقول الله تعالى: **﴿ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾**. [المائدة 97].

2. ضبط أحكام الصيد حماية للحيوان

لقد كان صيد الحيوان منذ الزمن القديم وإلى الآن مصدر عيش لبعض من ترتبط حياتهم بالغابات والبراري، لكن الصيد كما هو مفيد لحياة الإنسان، فإنه يمكن أن يكون مخلا بالتوازن البيئي حين ينتهي إلى إفناء نوع من أنواع الحيوانات التي خلقها الله لحكمة اقتضتها مشيئته.

ولهذا فإن الإسلام قد ضبط الصيد بأحكام عدة.

وقد قال الفقه بجواز الصيد من حيث الأصل والمبدأ. لكنه لم يطلق القول بالإباحة، وإنما ضبطها بقيود عديدة حتى لا يصير الصيد صيدا عابثا وجائرا يستنزف الطرائد، ومن تلك الضوابط.

---

1 - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكساني تحقيق علي معوض 3/ 251 دار الكتب العلمية بيروت 1997 و الشرح الصغير للدردير 2/ 100 دولة الإمارات العربية المتحدة.

2 - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكساني تحقيق علي معوض 3/ 252 دار الكتب العلمية بيروت 1997.

أن يكون الصيد بقصد تلبية حاجة حقيقية، وأن لا يصطاد الحيوان لمجرد العبث بصيده والتسلي بقتله، وأصل هذا الضابط قول النبي ﷺ: من قتل عصفورا سأله الله عنه يوم القيامة قيل يارسول الله وما حقه؟ قال يذبحه ذبحا ولا يأخذ بعنقه فيقطعه[1].

وفرع الفقهاء على هذا أن الصيد لمجرد اللهو مكروه.

وعبر الشيخ عليش في شرحه لمختصر خليل عن رأي المالكية في حكم الصيد فقال: وحرم اصطياد مأكول لا بنية الذكاة، فإن اصطاده بنية قتله أو الفرجة عليه أو بلا نية أو حبسه بقفص ولو لذكر الله كدرة وقمري.

ويضيف عليش: إن الصيد يجوز إذا كان لغرض صحيح كتعليم الحمام ليكون حماما زاجلا ينقل الرسائل ويقوم مقام البريد [2].

ومن الحالات التي قيل فيها بحرمة الصيد حالة ما إذا خيف انقراض نوع من الطرائد، لأنها مما خلقه الله وجمل به الأرض فلا يصح إفناؤها.

وبناء على هذا فإنه يحق للدولة أن تتدخل لمنع هذا النوع من الصيد الجائر على قاعدة أن تصرف الولي منوط بالمصلحة، وأن له أن يقيد المباح إذا أدى إلى ضرر، إذا كان المباح مستندا إلى قاعدة الإباحة الأصلية، ولم يكن مستندا إلى نص يقتضي الإباحة.

ومن الحالات التي قيل فيها بمنع الصيد وقوعه زمن توالد الحيوانات، لأن ذلك مؤد إلى انقراضها فلا بد من منع الصيد في هذه الفترة، وهذا الحكم هو ما دعت إليه قوانين الراحة البيولوجية.

---

1 - مسند أحمد بن حنبل 2/ 166 دار الكتب العلمية بيروت

2 - منح الجليل شرح مختصر خليل 2/ 433. ط دار الفكر

ومن أحكام الصيد التي قيل بها، كون صيد الحيوان ليلا هو خلاف الأولى، خصوصا إذا كان من الحيوانات التي لا تبصر ليلا، لأن ذلك يفوت عليها فرصة الإفلات والنجاة بنفسها، ولأن الصياد قد لا يرى الحيوان فيصيب غيره.

قال في الرد المحتار: أخذ الطير ليلا مباح، والأولى عدمه[1]، وقال علماء آخرون إن الصيد ليلا لا بأس به[2].

ومن أحكام الصيد عدم جواز اتخاذ حيوان حي طعما يصطاد به، لأن في ذلك تعذيبا له[3].

ب. أحكام محققة للرفق بالحيوان

في الفقه الإسلامي مجموعة أحكام أخرى تستهدف الرفق بالحيوان، منها:

- أن النبي ﷺ دعا سوادة بن الربيع الجرمي إلى حسن التعامل مع الحيوانات وقال: مر بنيك أن يقلموا أظافيرهم أن يوجعوا أو يعبطوا ضروع الغنم، ومر بنيك أن يحسنوا غذاء رباعهم[4].

وهذه توصيات تدعو إلى الرفق بالحيوان حين حلبه حتى لا تؤذيه أظافر من يحلبه.

من ملك حيوانا فإن عليه أن يطعمه ويسقيه خصوصا في أزمنة الجفاف التي ينعدم فيها الكلأ، جاء في حاشية الدسوقي على شرح الدردير: إن نفقة الدابة إن لم يكن مرعى واجبة، ويقضى بها لأن تركه منكر، وإزالته تجب بالقضاء.

ودخل في الدابة هرة عميت فتجب نفقتها على من انقطعت عنده بحيث لم تقدر على الانصراف[5].

---

1 - رد المحتار على الدر المختار لابن العابدين تحقيق عادل عبد الموجود 10/ 64 دار الكتب العلمية بيروت

2 - المغني لموفق الدين ابن قدامة 11/ 25 دار الفكر.

3 - المغني لموفق الدين ابن قدامة 11/ 33. دار الفكر

4 - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة 3590 تحقيق علي البجاوي 3/ 221. ط. دار الجيل بيروت 1992.

5 - حاشية الدسوقي على شرح الدردير 2/ 522 ط دار الفكر

يقول ابن عبد البر في كتابه الكافي: يجبر الرجل أن يعلف دابته أو يرعاها، أو يبيعها[1].

ومن أحكام الرفق بالحيوان أنه لا يجوز تحميله ما لا يطيق، ولا إتعابه بالعمل ليلا إن كان قد عمل بنهار، ولا ضربه لحمله على المشي أو الجري.

وقد بعث عمر بن عبد العزيز إلى حيان بمصر قال له: إنه بلغني أن بمصر إبلا يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل[2].

من أحكام الرفق بالحيوان أحكام تتعلق بكيفية ذبحه، وقد أوصى ﷺ بإحسان الذبح فقال: **«إن اللّه كتب الإحسان في كل شيء فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»**[3].

وإحسان الذبح يكون بإحداد آلته وبأن يتم في الودجين، وهما أقرب الأجزاء إلى الدماغ الذي هو مركز الإحساس، فإذا ذبح الذابح بآلة حادة، فإن الحيوان لا يحس ألم الذبح فورا، وإنما يحس بعد وصول الإشعار إلى الجهاز العصبي المركزي للحيوان وهو الدماغ، لكنه وقبل أن يحس فإن الدماغ يستدعي الدم الذي نزف من الودجين، ثم يفقد وعيه جراء خلو الدماغ من الدم، وبهذا لا يحس الحيوان ويستمر في التشحط لإيصال الدم إلى الدماغ، فيؤدي ذلك إلى تفريغ الجسم من الدم وإلى تنظيفه منه.

ومن أحكام الذبح أن مالكا نهى عن ذبح الحيوانات وهي على هيئة يرى فيها بعضها بعضا، وقد سئل عما يفعله الجزارون من وضع الحيوانات على شفير حفرة مستديرة، فمنع ذلك لما فيه من ترويع الحيوان من جهة، ولما فيه من عدم استقبال القبلة بالنسبة لبعضها من جهة أخرى[4].

1 - الكافي لابن عبد البر 299 دار الكتب العلمية بيروت 1987.
2 - التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني 2/ 152 دار الكتاب العربي بيروت.
3 - سنن أبي داوود كتاب الضحايا باب الرفق بالذبيحة.
4 - منح الجليل شرح مختصر خليل محمد عليش 2/ 435.

ومن أحكام الذبح إراحة الحيوان بإضجاعه على جانبه الأيسر، وتخلية موضع الذبح من الصوف أو الشعر، حتى لا تقع عليه آلة الذبح، وسرعة قطع الودجين فورا قطعا كاملا من غير أن يفصل الرأس عن الجسد أثناء الذبح إلى أن يموت الحيوان، ولا يبدأ بسلخه إلا إذا فارق الحياة[1].

1 - منح الجليل شرح مختصر خليل محمد عليش 2/ 435.

2. حماية الإسلام لمكون الغطاء النباتي من مكونات البيئة

مهما حاولت أدبيات اللغات أن تصوغ عبارات تختصر بها المسافة الفاصلة بين عالمي النبات والإنسان، وتستأصل بها جذور أفكار الاستخفاف بوجود النبات في البيئة، فإنها لن تدرك الغاية التي أدركها الخطاب القرآني وهو يجسر الهوة بين عالمين يبدو أحدهما مجرد عالم تجميلي أو موفر لمواد الاستهلاك البشري لا غير، بينما يبدو العالم الآخر الذي هو عالم الإنسان مستعليا متمتعا بمطلق الحرية في أن يتصرف في وجود النبات كما يشاء، فيبيده أو يسمح له بالبقاء إن شاء.

لقد انتهى القرآن إلى مستوى عال من التقريب بين عالمي النبات والإنسان، لما ألحق الإنسان نفسه بعالم النبات، ومزج بينهما في رفق ضمن دائرة واسعة هي دائرة اشتراكهما في خصائص النبات، يقول الله تعالى:﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا**﴾ [8 نوح 18]. فالإنسان بمنطوق الآية هو نفسه نبات أنبته الله من الأرض مثلما أنبت سائر النباتات، وهو يتكون من عناصر الأرض التي تشاركه النباتات فيها، وخلال حياة الإنسان، فإنه يكون وثيق الصلة بالأرض معتمدا عليها في حياته، فيشرب من مائها ويتغذى من خيراتها تماما مثلما تعيش النباتات هي أيضا موصولة بالأرض متجذرة فيها مستفيدة من مائها ومن موادها العضوية.

ونظرا لقوة الارتباط بين الإنسان والنبات ولوجود أوجه كثيرة للتشابه بينهما، فطالما شبه النبي ﷺ النبات بالإنسان، أو شبه الإنسان بالنبات من أجل أداء معنى الاتصال بين النبات والإنسان، ومن ذلك أنه عليه السلام سأل أصحابه عن شجرة خضراء لها بركتها كبركة المسلم لا يسقط ورقها ولا يَتحاتُّ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وإنها مثل المسلم[1]. وبعد أن عجز من كان حاضرا عن الجواب أخبرهم النبي ﷺ أن تلك الشجرة هي النخلة.

1 - رواه البخاري في أحد عشر موضعا من صحيحه منها أربعة مواضع من كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عمدهم من العلم .

وقد أفاد الحديث أن هنالك أوجه شبه كثيرة بين المسلم والنخلة، فهمة المسلم عالية مثلما أن النخلة عالية، وظلها دائم مثلما أن عطاء المسلم مستمر، وهي مستمرة العطاء قبل أن تنبت تمرا، مثلما أن المسلم يعطي في جميع مراحل عمره بما يناسب المرحلة التي يعيشها، وأثر النخلة باق، فخشبها وجريدها وسعفها يستعمل في ارتفاق الحياة، وفي إضفاء الجمال على المكان، وكذلك أثر المسلم باق بسبب أعماله الصالحة وصدقاته الجارية[1].

وفي أحاديث النبي ﷺ تشبيهات عديدة للإنسان بأنواع من النبات، منها أنه شبه المؤمن في لينه وحسن تعامله مع المصاعب والمصائب بخامة الزرع، وقال عليه الصلاة والسلام: **«مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح، تصرعها مرة وتعدلها، حتى يأتيه أجله، ومثل المنافق كمثل الأَرزة المجذبة التي لا يصيبها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة»**.[2]

ومعنى الحديث أن الإنسان المؤمن في لينه حين تواجهه الأزمات والصعاب يشبه نبتة الزرع التي تهب عليها الرياح فتميلها، لكنها سرعان ما تعود إلى النهوض وتستقيم وتقف على ساقها.

ومن التشبيهات النبوية للإنسان بالنبات تشبيهه المسلم الذي يقرأ القرآن بالأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. وتشبيهه المسلم الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة التي لا ريح لها وطعمها حلو، وتشبيهه المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. وتشبيهه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر[3].

إن تشبيه الإنسان بأنواع من النباتات، وإلحاقه بها فيه معنى بروز الصفة وجلائها في النبات، لأن الأصل هو أن تكون الصفة جلية متحققة في المشبه به أكثر مما هي جلية وواضحة في المشبه.

---

1 - الرسول المعلم عبد الفتاح أبو غدة ص 103 دار البشائر بيروت ط2. 1997.
2 - صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز.
3 - صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب ذكر الطعام.

ونسجا على منوال هذه التشبيهات النبوية، فقد حاك الناس تشبيهات أخرى تشبه الإنسان بالنبات.

ومن ذلك أنه قد قيل إن الإنسان كالشجرة التي كلما اتجهت إلى الأعلى وتشبعت بالنور، توغلت جذورها في الأرض، وازدادت في عمقها رسوخا، ومعنى هذا التشبيه أن الإنسان العالي في فكره وفي مداركه يكون راسخا ثابتا في هويته ومواقفه.

ومن استعمالات الناس المتداولة تشبيه الإنسان النبيل بالشجرة المثمرة التي يحذفها الناس بالحجارة لكنها تلقي إليهم ثمارها، ولا تقابل إساءتهم بإساءة مماثلة.

خطابات القرآن في التحسيس بأهمية مرافقة النبات للإنسان في حياته

للقرآن أسلوبه المتميز في الإقناع بجدوى ما يدعو إليه الإنسان، و هو أسلوب سمته المزاوجة بين مخاطبة العقل واستدعاء حاجات الروح ومقتضيات الفطرة، وإثر ذلك يتنزل الأمر الإلهي ليستقر على قاعدة صلبة من الاقتناع ومن الرضا بالحكم.

وسيرا على هذا النهج، فقد عالج الإسلام قضية وجوب العناية بالغطاء النباتي، وتنميته معالجة ارتفعت عن مستوى النصح المباشر بالمحافظة على وجود النبات، وارتقت إلى تعريف الإنسان بأهمية وجود النبات حوله، وبالوظائف الكبيرة التي يؤديها النبات له، ومنها وظائف مادية حيوية، وأخرى معنوية دقيقة لا يتفطن لها أكثر الناس.

والوظائف التي يؤديها النبات للإنسان حسبما أشار إليه القرآن الكريم وظائف كثيرة منها:

الوظيفة الأولى: إحالة النبات الإنسان على المعرفة بالله

لما كان القرآن بصدد مخاطبة العقل لإقناعه بعقيدة وجود الله وما استتبعها من العقائد، فإنه قد توقف طويلا عند عالم النبات وما أودع الله فيه من الأسرار الدالة على وجوده وعلى اتصافه بصفات الكمال اللائقة بألوهيته.

فلقد وقف القرآن عند مظاهر عديدة من خلق النبات، من أهمها أنه أشار إلى أن الله جعل النبات ومن أصنافه الشجر خزانات حافظة للطاقة التي تتحول إلى نار عند الاحتراق، وقد جعل الله تلك النار مذكرة بعظمته، وهذا خدمة فكرية معنوية يؤديها النبات للإنسان. كما جعل الله النار متاعا يرتفق به الإنسان في حياته اليومية، فيطهو عليها طعامه ويصهر بها معادنه، وجعلها الله متاعا للمقوين وهم المسافرون، الذين يصطحبون النار في أسفارهم ليستدفئوا بها، ولينضجوا عليها طعامهم، وليدافعوا بها عن أنفسهم إذا داهمتم الوحوش الضارية وجوارح الطير الكاسرة، ومع تطور الحياة، فإن الحاجة إلى النار لم تنقطع، بل إنها قد اكتسبت أهمية بالغة، لما شغلت بها المحركات وتضاعفت بها السرعة، ونقلت بها الأثقال.

وإذا كان الإنسان قد توصل حاليا إلى ابتكار ألواح زجاجية تخزن فيها طاقة الشمس طَوال اليوم لتنتج طاقة نظيفة، فإن ذلك ليس إلا تحولا تكنولجيا لعملية طبيعية كانت تتم عن طريق تخزين حرارة الشمس في الأشجار، وهي الظاهرة التي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿**أفرايتم النار التي تورون آنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين**﴾ [الواقعة 76].

ومضمون الآية أن النار التي يوقدها الإنسان بإحراق الشجر ليست من صنعه هو، وإنما هي نتيجة لما أودعه الله في الشجرة من طاقة حرارية مخزنة.

وقد بين القرآن أن النار الموقدة التي يوقدها الإنسان تؤدي له وظائف في حياته اليومية، إذ يستعملها المسافرون في أسفارهم، وهي أيضا متاع يومي يرتفق به الإنسان للدفء، ولإنضاج الطعام ولصهر المعادن ولتحويلها، ولأشياء أخرى.

وفي القرآن إشارة أخرى مماثلة إلى ما أودعه الله في النبات يقول الله فيها: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون**﴾ [يس 79].

الوظيفة الثانية: انخراط النبات مع باقي الكائنات في تمجيد الله وتقديسه

مما يمتاز به الإسلام تعامله مع كل مكونات المجال تعاملا ساميا، لأنه يضخ فيها معنى الحياة الإنسانية فيخاطبها على درجة خطابه للمخلوقات العاقلة ومنها الإنسان والملائكة.

ولهذا الاعتبار فإن القرآن يذكر عن عالم النبات، أنه يشارك الإنسان في تسبيح الله وتقديسه، وهو تسبيح ليس شفويا منطوقا ولا جاريا على طريقة الإنسان في تسبيحه، وإنما هو تسبيح اختص الله بعلمه، لكننا لا نرى ولا نلمس من مظاهره إلا تسخير الله للنبات ليؤدي ما نيط به وما خلق من أجله، يقول الله تعالى: ﴿**وإنْ من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾. [الإسراء 44].

وهذا التسبيح لا يدرك بحاسة فلا يسمع ولا يبصر، بل إنه لا يفقه ولا يفهم، لأن معناه دقيق لطيف، فلذلك قال الله عنه: ولكن لا تفقهون تسبيحهم. وقد أطلع الله عباده على وجود هذا التسبيح غير المدرك بالعقل.

لقد أثبت القرآن سجود النبات تمجيدا لله فقال: ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾. [الرحمن 4].

والنجم هو النبات الزاحف الذي لا ساق له، وهو يتمدد على الأرض، والشجر هو النبات الذي له ساق يقف عليها. وهذان هما الأصلان اللذان يستوعبان كل نبات على اختلاف تشكلاته.

وسجود النجم والشجر هو طاعتهما وانقيادهما لما أراد الله منهما، وأداؤهما لما خلقا من أجله من توفير الهواء النقي، والطعام المغذي، والعلاج الناجع للإنسان وللحيوان، ومن توفير مواد الخشب مما يرتفق به الإنسان في الصناعات وفي بناء البيوت وغير ذلك، ومن تجميل المجال وإلقاء الرونق عليه، وغير ذلك من الوظائف الكثيرة.

الوظيفة الثالثة: توفير النبات الغذاء للإنسان وللحيوان

يعتمد غذاء الإنسان في جزء كبير منه على ما يمده به النبات من مواد غذائية يتطلبها الجسم من أجل بناء خلاياه أو تجديدها، أو توفير الطاقة أو وقاية الجسم من الأمراض.

والمواد التي يتكفل النبات بإمداد الجسم بها، هي الماء والكربوهيدرات والبروتينات والأملاح المعدنية والفيتامينات، وإلى جانبها مواد أخرى مضادة للأكسدة.

لقد أشار القرآن إلى هذه الخدمات الغذائية والوقائية التي يقدمها النبات للإنسان فقال الله تعالى: ﴿**وفي الارض قطع متجاورات وجناتٌ من اَعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاُكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾. [الأنعام 4].

إن الآية تلفت النظر إلى أن النبات يمثل بالنسبة للإنسان مصدرا غذائيا متنوعا ومتعدد العطاءات، وقد اقتضت مشيئة الله أن يكون النبات متنوعا لتكون عطاءاته متنوعة كذلك، وقد أبرز القرآن أن النباتات قد توجد في قطع فلاحية متجاورة، تسقى كلها بماء واحد، لكن أصنافها وأطعمتها تختلف، بل إن الصنف الواحد تختلف أنواعه، وكل ذلك دال على حكمة الله وعلى لطفه ورحمته بالإنسان وبالحيوان الذي يعيش على النبات.

وفي القرآن آيات أخرى تستدل على وجود الله بنبات الزروع بكل أنواعها، وإذا كانت هذه الزروع توضع في الأرض بجهد الإنسان وبعمله وتعبه، فإن سلامتها ونموها يظلان فعلا خالصا لله لا قبل للإنسان بهما، لأن الله لو شاء أن يمنع عن النبات الماء، أو يسلط عليه الجوائح والأخطار التي تجلبها العواصف ورياح السموم الباردة، وموجات الجفاف لما استطاع الإنسان أن يوقف ذلك. يقول الله تعالى: ﴿**افرايتم ما تحرثون آنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فَظَلْتم تَفَكَّهون**﴾. [الواقعة 8] وهذا أمر مشاهد في جهات من العالم أصابتها موجات الجفاف الطويلة، أو الأعاصير القوية فأبادت زراعتها، وعرضت إنسانها لمخاطر المجاعة.

الوظيفة الرابعة: إضفاء النبات صبغة جمالية على بيئة الإنسان

إن أكثر الناس يشغلهم عن ملاحظة الجمال ورؤيته في عالم النبات تركيزهم على جانب الانتفاع المادي منه، ولذلك فهم لا يرون في الثمرة جمالها وشكلها بقدر ما يستهويهم منها حجمها وطعمها، وفي أحسن الحالات فقد يهتم الناس بالورود والزهور، ولكن من أجل سحقها وتقطيرها، واستخلاص مائها وعصارتها للتزين والتعطر بهما في مناسبات اجتماعية ودينية.

لكن القرآن وهو يستعرض شواهد الإقناع بأهمية وجود النبات في حياة الإنسان، قد لفت النظر إلى جمالية النبات الذي يتعامل الناس معه غالبا على أنه مجرد مادة استهلاكية أو ارتفاقية، وقد قال الله تعالى موجها إلى ملحظ الجمال في النبات: ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خَضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجناتٍ من اعناب والزيتون والرَمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**﴾. [الأنعام 100].

إن هذه الآية توصيف جميل ورسم دقيق للثمار المتدلية من أغصانها، وللحبوب المنغرزة في سنابلها، ولعراجين النخل ولعناقيد العنب في ألوانها الزاهية.

وبعد ذلك الاستعراض ختمت الآية بدعوة صريحة إلى مشاهدة جمال تلك الثمار إذا هي أينعت وأزهت واتخذت حجمها ولونها النهائي فقال: ﴿**انظروا إلى ثمره إذا أثمر وَيَنْعِه**﴾ [الأنعام 100]. والدعوة إلى النظر هي دعوة إلى التحديق الطويل والتأمل العميق في الجمال الذي أودعه الله في النبات، وبهذه الدعوة يكون القرآن قد أيقظ الإحساس بالجمال في النفوس المؤمنة.

واستجابة للأمر الوارد في الآية بتأمل جمال النبات، فقد اعتبر المسلمون النظر في الجمال الطبيعي فريضة وتكليفا شرعيا لا يختلف عن بقية التكاليف، حتى إنه كان من عادة بعض العلماء أنه إذا تعذر عليه البروز إلى الطبيعة للنظر إلى النبات

امتثالا للأمر الإلهي، دخل أسواق الخضارين، وصار يتأمل جمال الخضر المصفوفة أداءً للواجب الذي عجز عنه لما حيل بينه وبين الخروج إلى الطبيعة.

واستلهاما من هذا الأمر القرآني بتأمل الجمال الطبيعي الذي أودعه الله في النبات والثمر والشجر، فقد أولع الفنان المسلم بشغل كثير من المساحات برسوم فنية لأوراق الشجر، ونشأ عند الفنانين المسلمين فن قائم الذات منسوب إلى الورق هو فن التوريق، وهو فن من فنون الزخرفة الجميلة، والتنميق الأنيق يشتغل عليه الرسامون وصناع النقش والتخريم على الزليج والجبس والخشب والنحاس والحجر، وهو يوظف في تزويق الأثواب وفي تطريز الملابس.

وقد غدت رسوم أوراق الشجر منظرا مألوفا في بعض الكتب الأدبية، ومنها المنمنمات ذات الأصل الفارسي، وقد برع الفنان بهزاد وغيره في تصوير الكثير من النصوص الأدبية، ومنها كتاب كليلة ودمنة للحكيم بيدبا، والشاه نامه للفردوسي.

وبلغت رسوم أوراق النبات شأوا عظيما، وأدركت مكانة عالية لما زينت بها حواشي المصاحف، وفصل بها بين السور القرآنية.

مشروع الإسلام لتقوية الغطاء النباتي

لقد حدد القرآن الغاية من مجيء الإنسان إلى هذا الوجود، وحصرها في تحقيق مهمة كبيرة هي الخلافة عن الله، وتحقيق مراده من إعمار الأرض، يقول الله تعالى عن وظيفة الخلافة. ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ [البقرة 29].

ويقول الله عن وظيفة الإعمار التي أوكلها إلى الإنسان: ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾. [هود 60].

ومن أبرز الأعمال الإعمارية الضرورية غرس النباتات ذات الوظائف المتعددة.

ومن أجل أن يتحقق هذا الهدف، فقد انتهج الإسلام منهجا قويا في الدفع بالمؤمنين إلى الانخراط في تحقيق الإعمار بالغرس. ومن مقومات هذا المنهج دعوة مباشرة إلى

الإقبال على غرس الأشجار وعلى الإكثار من الزروع، ومن مقوماته أيضا وضع أنظمة مشجعة على الغرس، منها نظام إحياء الموات، والإقطاع، والتعاون الزراعي والإيجار الطويل الأمد للأراضي الزراعية.

ومن أجل إعطاء صورة إجمالية عن مشروع الإسلام الكبير لتنمية الغطاء النباتي، ولتوسيع مساحات وجوده وحمايته، فسأكتفي بعرض ملامح من الأسلوبين السابقين اللذين اعتمدهما الإسلام في الدعوة إلى تكثيف الغطاء النباتي.

الأسلوب الأول من أساليب التشجيع على تكثيف الغطاء النباتي:

التحفيز المباشر على غرس الأشجار وزراعة النباتات

ترد في القرآن وفي الحديث النبوي نصوص تفيد في مجموعها أن زراعة الأرض وغرس الأشجار ليسا مجرد عمل تدعو إليه حاجة الإنسان إلى الغذاء وإلى الانتفاع والارتفاق بها فقط، وإنما هما قربة إلى الله وطاعة له، وصدقة جارية يستمر ثوابهما ويتواصل مادامت تلك الأشجار والزروع قائمة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وما دامت توفر للناس وللحيوانات وللطيور وللحشرات غذاءها الذي يقيم أَوَدَها ويحفظ وجودها.

إن النصوص المفيدة لحصول ثواب الزراعة واستمراره واسترساله كثيرة، من جملتها أن الرسول ﷺ قال: **«ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»**[1].

واستنادا إلى نص الحديث، فإنه يتبين أن الزراعة والغرس، هما في حقيقتهما ومآلهما عملية تصدق واسعة، وقد لا يستحضرها الزارع نفسه، ولا يتوقع ثوابها. وقد أفاد الحديث أن ما أكله الطير أو الحيوان أو الإنسان، وما سرق يكون ذلك كله صدقة من الزارع، وهي صدقة ممتدة متواصلة، لأن وجود الزرع يكون سببا في نشوء تجمع بشري وحياة حيوانية على هامشه، فبسبب وجود الزرع توجد الطيور والحشرات

1 - صحيح مسلم كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع.

والحيوانات التي تقتات عليه، وبسبب وجود الزرع تنشأ التجمعات البشرية التي يعمر بها المكان.

من النصوص التي دعا فيها النبي ﷺ إلى مواصلة الزرع والغرس في كل الظروف والأحوال، قول النبي ﷺ: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[1].

إن لهذا الحديث دلالات كثيرة، منها أن غرس الأشجار وزرع النباتات لا يجوز أن تتحكم فيه مجرد الرغبة في الاستفادة من الشجر أو الزرع، وإنما يجب أن يكون فعلا يدفع إليه قصد التقرب إلى الله عز وجل وطلب رضاه بغض النظر عن باقي النتائج، لأن الحديث دعا من يستيقن أن الساعة ستقوم قريبا إلى أن يواصل الزرع، مع أنه يعلم أن الساعة هي نهاية الحياة الدنيا، وأنه لن تكون له بعد فرصة الاستفادة مما زرعه، لكنه مع ذلك مدعو إلى أن يزرع، لأن ذلك الزرع سوف ينفع صاحبه نفعا آنيا هو إكثار الثواب الذي يلاقي به ربه.

ومستفاد الحديث أن أصحاب الأعمار العالية، وأصحاب الأمراض القاتلة، والمقيمين غير المستقرين في مكان معين عليهم جميعا أن يزرعوا، وإن كانوا لا يؤملون أن يستغلوا ما زرعوا، ويكفيهم أن يكون الزرع في حد ذاته قربة إلى الله توتي نفعها المعنوي فورا.

لقد عبر عمر بن الخطاب عن مضمون هذا الحديث عمليا، تذكر المصادر أنه قال لخزيمة بن ثابت وكان رجلا طاعنا في السن: ما يمنعك أن تغرس أرضك، فقال: أنا شيخ كبير أموت غدا. فقال له عمر: عزمت عليك لتغرسنها، وأعانه عمر على غرس أرضه[2].

وقد أعطى الرسول ﷺ المثل الحي من نفسه حينما اشتغل في غرس النخل في واقعة لها دلالات كثيرة.

1 - الأدب المفرد للبخاري باب اصطناع المال صفحة 69 دار الكتب العلمية.

2 - كنز العمال لعلاء الدين الهندي كتاب إحياء الموات من قسم الأفعال رقم الحديث 9136 ج3/ 909 مؤسسة الرسالة.

فقد كان سلمان الفارسي عبدا لدى رجل، فدعاه النبي ﷺ إلى أن يطلب ممن كان تحت يده أن يكاتبه ويتعاقد معه على شراء حريته في مقابل مادي، فاشترط عليه أن يدفع له أربعين أوقية من ذهب، وأن يغرس له ثلاث مائة نخلة مقابل حريته، فدعا النبي ﷺ أصحابه إلى الاكتتاب العام، فجمعوا له المبلغ المطلوب، ثم دعاهم إلى التعاون من أجل غرس ثلاثمائة نخلة، فكان الصحابة يحفرون الحفر، وكان النبي ﷺ هو الذي يضع النخل في أماكنها ويهيل عليها التراب، حتى تم العمل، وتحقق به مقصدان كبيران، هما تحرير الإنسان وإعمار الأرض[1].

ولازالت مزرعة النخيل هذه موجودة بضواحي المدينة، وتسمى الميثب.

تمثلات التوجيه الإسلامي في تقوية الغطاء النباتي

1. اتخاذ الحرم المكي محمية بيئية

من قبل أن تعرف البشرية نظام المحميات البيئية للحفاظ على أنواع من الحيوانات والطيور والنباتات، فقد كان للإسلام سبقه وريادته في تحديد أول محمية تحمى فيها مكونات البيئة، وقد كانت تلك المحمية الأولى هي الحرم المكي بما له من قدسية ومكانة في نفوس المسلمين.

ومن أحكام الحرم المكي أنه لا يجوز اقتلاع أشجاره النابتة نباتا طبيعيا، ولا يجوز اقتلاع الكلأ إلا ما كان وجوده يمثل ضررا على الإنسان. يقول الرسول ﷺ في خطابه يوم فتح مكة: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يَحل القتال فيه لأحد قبلي. ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضَد شَوكه ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرَّفها، ولا يختلى خلاها، فقال العباس يارسول الله إلا الإذخر، فإنه لِقَينهم ولبيوتهم، فقال إلا الإذخر[2].

---

1 - أسد الغابة لابن الأثير تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد عاشور ومحمد فايد ترجمة 2149 ج2/ 419. دار الشعب.

2 - صحيح مسلم كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام.

والحديث يقرر وجوب ترك نباتات الحرم مما نبت نباتا طبيعيا ولم يكن من غرس الإنسان، وقد نهى الحديث عن قطع شوكه إلا إذا كان فيه إضرار بالناس أو كان واقعا في طريقهم.

وقد نص الحديث أيضا على عدم إزالة خلا الحرم، وهو الكلأ والحشيش الرطب.

وبموجب هذا التوجيه فقد صار الحرم المكي أول محمية إيكولوجية مفتوحة يتعايش فيها الإنسان مع حيوان الصيد والنبات.

ولولا هذا التحريم الذي حفظ للنباتات والحيوانات وجودها، لكان الحرم المكي خاليا من أي حيوان أو نبات، لكثرة من يتوافد عليه من الحجاج والمعتمرين الذين يقتلعون النبات ويفنون الصيد لو كان ذلك جائزا.

وقد فرع الفقه على هذا أن من قطع شجرة من الحرم وجبت عليه فدية تقدر ببقرة.

وقد رفع إلى عمر بن العزيز رجل قطع شجرة من الحرم ادعى أنها كانت تضايقه، فأوجب عليه عمر الفدية[1].

2. لقد تمثل المجتمع الإسلامي التوجيه الداعي إلى توسيع المساحات المغطاة بالأشجار والنباتات، وساعد الفقه على ذلك التوجيه بكثير من الأحكام المتجهة نحو الإكثار من الغرس والزراعة

ومن أحكام الفقه الإسلامي التي عممت الخضرة أن الفقه كان يرى أن أفنية المساجد هي فضاءات موقوفة على الصلاة فلا تستغل في غيرها من الأغراض، لكن الفقه المالكي في المغرب والأندلس كان يخالف مالكا في هذا، فكان يرى أن غرس أفنية المساجد يضفي عليها جمالا، ويلقي على أرضيتها ظلالا، فيكون ذلك كله أدعى لأن تكون معمورة.

وأجاز الفقه المالكي غرس الأشجار في أفنية المساجد، وجعل ثمار تلك الأشجار مبذولة للجميع يأكل منها من شاء.

1 - أخبار مكة محمد بن عبد الله الأزرقي تحقيق رشدي ملحس 2/ 143 مطابع دار الرشاد بمكة ط.8.

يقول صاحب نظم العمل:

وشجـــر بمســـجد أو مقـــبرة يأكل من شاء من تلك الشجرة[1]

وبناء على هذه الفتوى فقد أصبح معهودا أن تغرس في أفنية مساجد المغرب أشجار وحدائق، وأصبحت بعض المساجد تسمى بأسماء ما غرس فيها من الأشجار كمسجد الزيتونة ومسجد النخلة ومسجد الكرمة.

3. لقد وردت في كتب الفقه مباحث تتحدث عن أحكام الزراعة، لتفض النزاعات التي تنشأ بين الناس حول الأعمال الزراعية

وحوت كتب الفقه أبوابا في أحكام الغرس والزرع وما يتنازع فيه الناس من ملكيتها، ومن امتداد فروعها إلى الجيران، كما تناولت أحكام الاشتراك في حريمها.

وتتضمن كتب الفقه نصوصا داعية إلى الاشتغال بالغرس، منها ما كتبه ابن الحاج العبدري (ت737) من علماء المغرب في كتابه المدخل مبينا أهمية إعمار الأرض بالغرس والزراعة.

يقول ابن الحاج العبدري: فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا. إذ أن خيرها متعد للزارع ولإخوانه المسلمين وغيرهم من الطير والبهائم والحشرات. فكل ذلك ينتفع بزراعته حتى إنه ليقال لو سمع من يقول نأكل منه حين زرعه لم يزرع شيئا لكثرة من يقول نأكل منه[2].

الأسلوب الثاني من أساليب التشجيع على تكثيف الغطاء النباتي: إرساء الإسلام لأنظمة تعين على استصلاح الأراضي وعلى غرس الأشجار وزراعة النباتات

لقد وضع الإسلام نظما كفيلة بالتشجيع على استصلاح الأرض وتمكين المشتغل بذلك من أثر جهده، وقد كان الهدف من تلك النظم هو تجنيب الناس كل أسباب

1 - جنى الآس شرح عمل أهل فاس لعبد الصمد كنون ص:83 مطبعة الشرق

2 - المدخل لابن الحاج العبدري 4/ 4 دار الكتاب العربي بيروت 1982.

النزاع التي من شأنها أن تعطل أو تمنع كل عمليات استثمار الأشجار وباقي النباتات.

والأنظمة التي قدمتها وعرفت بها المصادر الفقهية كثيرة منها:

1. نظام إحياء الأرض الموات.

2. نظام الإقطاع للأغراض الفلاحية.

3. نظام التعاون الفلاحي.

4. نظام إيجار الأرض الفلاحية لمدد طويلة تسمح باسترجاع الاستثمارات.

النظام الأول: نظام إحياء الموات

إحياء الموات نظام إعماري شرعه الإسلام للتحفيز على الغرس والزرع من أجل توسيع المساحات المغطاة بالنبات، وتعرف حقيقة هذا النظام من تفكيك تركيبته الاسمية المؤلفة من كلمتي الإحياء والموات، وهما معنيان متقابلان في الظاهر.

فالموات هو الأرض غير المستغلة فلاحيا، وغير المملوكة لفرد أو لجماعة أو للدولة، وهي بذلك موات غير مستغلة ولا منتجة.

وأما الإحياء فهو عملية زراعية قارة غير مؤقتة، وهي لا تتحقق بمجرد الزرع الموسمي العادي الذي يمكن أن يعدل عنه صاحبه ويتركه لأدنى الأسباب.

وقد تأسس نظام إحياء الموات بموجب قول النبي ﷺ: «**من أحيا أرضا ميتة فهي له**»[1]. وفيه بين النبي ﷺ أن إحياء الأرض يصير سندا صحيحا لتملكها. وهذا التمليك هو مكافأة للجهد المبذول في الغرس، وفي هذا من التشجيع على استصلاح الأراضي وزراعتها ما هو واضح.

وقد قال الفقهاء إن إحياء الأرض يتم بأحد أمور سبعة هي تفجير ماء بئر أو عين، أو إزالة الماء عن الأرض المغمورة به، أو غرس شجر فيها، أو حرث الأرض واستصلاحها،

1 - البخاري كتاب المزارعة باب من أحيا أرض الموات.

أو تكسير حجارتها وتسويتها[1].

وبحكم التطور الفلاحي، فقد أضيفت إلى هاته الأعمال التقليدية أعمال فلاحية أخرى مما اقتضاه التطور الفلاحي، ومنها تقليم الشجر، ورش المبيدات، وتسميد الأرض وما إلى ذلك.

وفي كتب الفقه خلاف حول توقف الإحياء على إذن الدولة أو عدم توقفه عليه.

وقد وقف الفقه المالكي موقفا وسطا لما اشترط إذن ولي الأمر بالنسبة لإحياء الأرض القريبة من المدن ولم يقل بالحاجة إلى الإذن بخصوص الأراضي النائية التي تقل الرغبة فيها، ولا تثور حول امتلاكها نزاعات، وقد كان من أثر هذا الموقف الفقهي أن عمليات الإحياء انصبت على الأراضي البعيدة فأحيتها، فأحدث ذلك حركة اقتصادية واجتماعية مهدت لنشوء التجمعات العمرانية بجوارها.

النظام الثاني: نظام الإقطاع للأغراض الفلاحية

من الوظائف التي أوكلها الإسلام للدولة لتباشر بواسطتها إعمار الأرض عموما، وتوسيع نطاق الغطاء النباتي خصوصا نظام الإقطاع، وهو يعني تمكين الأفراد أو الجماعات أو الفئات الاجتماعية من جزء من الأرض من أجل إقامة مشاريع فلاحية أو صناعية أو سكنية، ومن أجل إيجاد فرص لتشغيل الناس وتحقيق أمنهم الاجتماعي والغذائي.

ونظام الإقطاع بمفهومه الفقهي وإن كان يشترك لفظا مع نظام الإقطاع الذي عرفته أوروبا، فإنه مع ذلك مباين له كل المباينة ولا يشبهه في مضمونه وحقيقته.

لأن نظام الإقطاع في الإسلام هو نظام تنموي حافز على الإعمار الفلاحي، وليس من مقاصده تركيز الثروة في يد شخص أو فئة، مثلما كان ذلك يتم في نظام الإقطاع الأوروبي الذي ملك بعض الأفراد أراضي شاسعة، وجعل كل من عليها من الناس أقنانا وعبيدا لمالكي الأرض.

---

1 - الشرح الصغير لأحمد الدردير 4/ 93. ط. دولة الإمارات العربية المتحدة.

ومن خصائص نظام الإقطاع في الإسلام أن من اقتطعت له قطعة أرضية فلم يستغلها فإنها تسترجع منه، ولا يستمر وضع يده عليها بموجب الإقطاع.

يروي القاسم بن سلام في كتاب الأموال أن عمر بن الخطاب راجع بلال بن الحارث المزني في شأن أرض كان الرسول ﷺ قد أقطعه إياها، لكنه لم يستغلها، وقال له: إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحجره عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي[1].

وقد قال الفقه الإسلامي إن مجرد تحجير الأرض وهو وضع علامات من حجارة على حدودها، لا يبرر بقاءها بيد من استقطعت له إذا كان لا يستغلها، خصوصا إذا تجاوز ذلك التحجير ثلاث سنوات.

ولقد أفادت الكثير من الدول من نظام الإقطاع للأغراض الفلاحية، ولتشجيع الاستثمار، فمكنت الراغبين في الاستثمار من الوعاء العقاري اللازم لذلك مجانا، أو بثمن رمزي، وأصبح هذا الأسلوب أسلوبا قويا للتشجيع على الاستثمارات الدولية والوطنية.

النظام الثالث: النظام التعاوني الفلاحي

في أحيان كثيرة قد توجد لدى الأفراد رغبة أكيدة في الانخراط في أي عمل استصلاحي يتم فيه غرس الأشجار أو توسيع المساحات الزراعية، لكن هذه الرغبة قد يحول دون تحقيقها عدم امتلاك الأرض الصالحة للغرس، أو عدم امتلاك الأموال أو القدرة البدنية التي يتم بها الاستصلاح.

وقد تجاوز الإسلام كل هذه العوائق المادية التي كان بالإمكان أن تستبقي الأرض جرداء وتحول دون انتشار الغطاء النباتي، وذلك حينما شرع صورا من التعاون والاشتراك وفق شروط تمنع الظلم والاستغلال، وتحقق الربح للأطراف المشتركة فيها.

1 - كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق خليل هراس 302. دار الكتب العلمية بيروت 1986

وصور هذه الشراكات والتعاونيات كثيرة، وهي تختلف في أسمائها وعناوينها بحسب موضوع الاشتراك فيها، ونسبة المساهمة فيها، ويمكن الحديث في هذا الحيز عن عقود منها:

عقد المساقاة.

عقد المزارعة.

عقد المناصبة.

1 .عقد المساقاة :

ويسمى عقد معاملة.

والمساقاة مشتقة من السقي، وهي عقد يتم بموجبه تسليم الشجر إلى من يسقيه ويتعهده ويرعاه على أن يكون الثمر بين الشريكين بناء على اتفاق سابق بينهما.

وعقد المساقاة لا يخلو من تسامح شرعي، وقد قال به مالك والشافعي[1]، وهو معروف في كتب الحنفية[2]، وقد قصدت الشريعة به إلى تحقيق تنمية الغطاء النباتي، وإلى توفير الغذاء فتسامحت فيه، وإلا فإن الأصل فيه أن يكون ممنوعا، لأنه تعاقد على إجارة مجهولة، وفيه بيع ما ليس موجودا بعد، وقد رخص الإسلام في هذا العقد، لأن فيه تيسيرا على الناس، وتمكينا لهم من الاعتناء بالأشجار[3].

ويمكن أن يعتبر هذا العقد حاليا عقدا إيكولوجيا تعاونيا بامتياز، لأنه قد كان له أثره الكبير على نشر الإخضرار والظلال، وعلى الحفاظ على النبات، وعلى الطيور والحشرات والحيوانات التي تعيش على النبات.

2 .عقد المزارعة :

ويسمى عقد مخابرة من الخبار وهو الأرض اللينة.

والمزارعة عقد شركة زراعية تعاونية يقوم على أساس أن يسلم صاحب الأرض

1 - المقدمات الممهدات لأبي الوليد ابن رشد تحقيق سعيد أعراب 2/ 547 دار الغرب الإسلامي 1988.

2 - رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين 9/ 412

3 - المقدمات الممهدات لأبي الوليد ابن رشد 2/ 547 دار الغرب الإسلامي

أرضه لمن يزرعها ويتعهد الزرع ويرعاه حتى يثمر فتكون له حصة من المحصول متفق عليها سلفا[1].

وقد مثل وجود عقد المزارعة في الفقه الإسلامي تأسيسا للعمل التعاوني الفلاحي الذي مكن من إيجاد فرص العمل، وساعد على توسيع المساحات المزروعة، ولازالت البلاد الإسلامية تأخذ بهذا العقد، خصوصا في الحالات التي يكون فيها أصحاب الأرض غير قادرين على استغلالها، كأن تكون الأرض لأيتام أو لأرامل أو لعاجزين بسبب التعويق الجسدي، أو الزمانة وكبر السن، ومن الأعراف الشائعة أن يسمى الشريك في العمل بقيمة النسبة التي يستحقها، فيقال له رباع أو خماس أو غير ذلك.

3 .عقد المناصبة :

ويسمى عقد مناصبة، وهي شركة زراعية يسلم فيها صاحب الأرض العارية أرضه إلى من يهيئها ويغرس فيها الأشجار، أو يزرع فيها الحبوب والزراعات الفصلية، على أن يكون الناتج بين الشريكين أو الشركاء بناء على اتفاق سابق[2].

الأسلوب الثالث من أساليب التشجيع على تكثيف الغطاء النباتي: الترخيص بتأجير الأراضي الفلاحية لمدد طويلة

إن الأصل في كراء الأراضي والدكاكين والمنازل أن يكون محدودا بالمدد التي تمكن مكتريها من استغلالها واسترجاع ما استثمره فيها، وقد حدد بعض الحنفية والمالكية كراء الأرض في أربع سنوات، وكراء الحوانيت والدور في سنة واحدة.

وقد وقع الاتفاق على جواز كراء الأراضي الفلاحية إذا كان الكراء نقدا[3]، ورخص الفقه في إطالة أمد الكراء، لأن المدد القصيرة لا تشجع على كراء الأراضي

---

1 - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير 3/ 539.
2 - رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين تحقيق عادل عبد الموجود 9/ 417.
3 - المقدمات الممهدات لأبي الوليد ابن رشد 2/ 224 دار الغرب الإسلامي.

الفلاحية، وقد قال بعض شراح تحفة الحكام لابن عاصم: إن الذي جرى عليه العمل هو تمديد كرائها إلى سنين، قد تصل إلى العشرين سنة أو تزيد[1].

وقد ثبت الفقه لمكتري الأراضي حقوقا ناشئة عن عقد الكراء تساعد على بذل الاستثمارات الكثيرة من أجل غرسها.

ومن تلك الحقوق حق الحكر وحق الجَدَك، وهذه حقوق مترتبة عن استصلاح الأرض، ومع ذلك فإنها تحتاج إلى إذن من الدولة إذا تعلق الأمر بأراضي الدولة أو الأوقاف[2].

وعملا بما سبق، فقد نصت المادة 98 من مدونة الأوقاف المغربية والمتعلقة بكراء الأملاك الوقفية: على أن الأملاك الوقفية الفلاحية تكرى لمدة لا تزيد عن ست سنوات، لكنها قابلة للتجديد مرتين بطلب من المكتري، وبزيادة في قيمة الكراء لا تقل عن عشرين في المائة.

والقصد من إطالة مدة كراء الأراضي الفلاحية هو التشجيع على إقامة استثمارات فلاحية مكلفة كحفر الآبار وشراء المعدات الفلاحية، وإيصال الكهرباء وبناء المخازن ومساكن العمال وغرس الأشجار، وكل ذلك يتطلب استثمارات مالية كبيرة وزمنا طويلا، فوجب أن يعطى المكتري فرصة استرجاعها للاستفادة من مشروعها الفلاحي.

حماية الإسلام للغطاء النباتي

لما كان التشريع الإسلامي داعيا إلى استغلال الأراضي، وإلى غرس الأشجار والنباتات، فقد كان طبيعيا ومنطقيا أن يكون له موقف آخر مساند لهذا التوجيه، وهو موقف منع تدمير الغطاء النباتي والإجهاز عليه.

---

1 - شرح التوزري على تحفة الحكام ابن عاصم 3/ 150 ط.تونسية 1339.

2 - فتح العلي المالك لمحمد عليش 2/ 243 دار الفكر. و رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين 7/ 39. دار الكتب العلمية بيروت.

وفي مرات عديدة تحدث القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عن إبادة النباتات دون مسوغ حقيقي، واعتبر ذلك الفعل إفسادا في الأرض، يقول الله تعالى عمن يسعى في تدمير مكونات البيئة: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**﴾ [البقرة 202].

والملاحظ في الآية أنها تسوي بين إهلاك الحرث الذي هو النبات، وإهلاك النسل الذي هو كل حيوان يعيش ويتكاثر وعلى رأسه الإنسان.

وفي واقع السيرة النبوية مثال قوي الدلالة على مبلغ حرص الإسلام على المحافظة على الأشجار، وهو مثال يتلخص في أن الرسول ﷺ قد اضطر إلى قطع نخلات. وتساءل الخصوم يومئذ كيف يقطع محمد النخل وهو نبي؟ فكان أن بين الله أن ذلك القطع لم يكن بمبادرة من النبي ﷺ، وإنما كان منه بعدما تلقى الإذن بذلك من الله بسبب الحاجة الأكيدة[1]. يقول الله تعالى: ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله**﴾ [الحشر 5]. واللينة هي النخلة عموما، أو النخلة من غير العجوة.

وإذا كان قطع بعض نخلات يتوقف على إذن إلهي، فإن ذلك يرشد إلى أهمية الحفاظ على الغطاء النباتي، وأخذا منه، فإنه يتعين أن تكل الدولة إلى جهة مختصة أن تمنح رخص اقتلاع الأشجار إذا رأت ذلك ضروريا. على أن يتعهد المقتلع بغرس أشجار أخرى بدلها يعوض بها ما اقتلعه.

من النصوص الصريحة والقوية الدلالة على منع إبادة النبات قول النبي ﷺ: «**من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار**»[2].

وهذا الحديث يتضمن وعيدا شديدا على قطع شجرة معينة، هي شجرة السدر التي تنبت في المناطق القاحلة، وهي المظهر الوحيد للحياة في المفاوز، والملاذ لمن يعبرونها، فيستظلون بها من حر الشمس الحارقة، فإذا أزيلت اختفى مظهر الحياة على

1 - جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري 28/ 22 دار المعرفة بيروت لبنان.

2 - سنن أبي داوود كتاب الأدب أبواب النوم باب من قطع السدرة.

الأرض وتعرض الناس لخطر الموت بحر الشمس، لذلك رتب النبي ﷺ على قطع تلك الشجرة أن يصوب الله رأس القاطع في النار.

من الأحكام الفقهية التي تمنع اقتلاع الأشجار ما قال به الفقه من أن من اكترى أرضا فلاحية ثم انتهت مدة الكراء، فإنه لا يقطع الأشجار ولا يزيلها بسبب أنه هو من غرسها.

وقد أخذت المادة 99 من مدونة الأوقاف المغربية بهذا الحكم فنصت على أنه:

تعتبر وقفا عاما البناءات والأغراس والمنشئات المقامة من طرف المكتري بالعين المكتراة، تنفيذا للعقد المبرم معه عند انتهاء العلاقة الكرائية لأي سبب من الأسباب.

من الأحكام الفقهية الحامية للأشجار ما قال به الفقهاء من أنه إذا وجدت شجرة فادعى الجار أنها تلحق به ضررا وطالب باقتلاعها، فإنه ينظر في الأمر فإذا كانت الشجرة قديمة قبل بناء البيت فإنها لا تقلع، لأنها هي الأصل، والبيت طارئ عليها، وإذا كانت الشجرة حادثة بعد البناء، فإنه يقلع من أغصانها الممتدة ما سبب الضرر.

وإذا كانت الشجرة في بناء بيت، وكان صاحبها يطل منها على الجيران حين يجني ثمارها، فإنها لا تقطع، وإنما يجب على صاحبها أن يعلم الجار متى أراد الصعود لجني الثمار[1].

أ. إقرار حريم الأشجار حماية لوجودها

من الأحكام الحمائية القوية للنبات أن الفقه الإسلامي اعتبر أن الحيز الذي يحتاجه النبات لتغوص فيه جذوره وتتمدد فيه أغصانه هو مجاله الحيوي، لأنه يتيح له امتصاص الماء واستمداد المواد العضوية منه.

وقد حدد الحنفية حريم الشجرة في خمسة أذرع من كل جهاتها، اعتمادا منهم

1 - مواهب الجليل شرح مختصر خليل للحطاب 5/ 164. دار الفكر 1978.

على أن النبي ﷺ قاس مسافة بين نخلتين اختصم فيهما رجلان فكانت خمسة أذرع، فجعلها حريمها[1].

لكن فقهاء المالكية قالوا إن هذا لا يعم كل الأشجار، فلذلك لم يحددوه، وإنما قالوا إن تحديده يعود إلى أهل الخبرة بالفلاحة ليقدروا المسافة التي يجب أن تترك بين شجرة وأخرى، لأن جذور الأشجار تختلف في حاجتها إلى الانتشار، ولأن أغصانها تتفاوت في تمددها، كما أن حاجاتها إلى التمدد تتباين[2].

ومن أحكام الحريم أنه ليس لأحد أن يغرس شجرة في حريم شجرة أخرى حتى لا يضايقها ولا يمنعها من استمداد الماء والمواد العضوية.

وحين تلتزم أحكام حريم الأشجار، فإن من شأن ذلك أن يجعلها منسقة مرصوفة على خطوط مستقيمة، على نحو ما تبدو عليه الحقول في الأراضي التي تخضع لهندسة زراعية علمية.

ب. النباتات والمساحات الخضراء في المجتمعات الإسلامية

لقد استوعب المسلمون جيدا دعوة الإسلام إلى إعمار الأرض وتزيينها بالنبات وتلوينها بالخضرة الطبيعية، استلهاما من القرآن الذي صور الخضرة على أنها لون الجنة الأساس، لأنها لون ألبسة المتنعمين فيها، يقول الله تعالى: ﴿**عَالِيهِم ثيابُ سندس خضر وإستبرق**﴾ [الإنسان 21] كما أنها لون فرش الجنة. يقول الله تعالى: ﴿**متكئين على رفرف خُضْرٍ وعبقري حسان**﴾ [الرحمن 75]. وهو بالطبع لون أشجارها وبساتينها، وقد كان من أثر هذه الإشادة باللون الأخضر الطبيعي أن سعى المسلمون إلى الإكثار من الغرس الذي نشروا به لون الجنة.

ولهذا ظهرت في بلاد المسلمين الكثير من المروج الخضراء ومن الحدائق الغناء.

وقد شاق المسلمين جمال الحدائق لما قرأوا الكثير عن توصيفاتها في القرآن

---

1 - نصب الراية لأحاديث البداية جمال الدين الزيلعي 4/ 293 دار الحديث القاهرة.

2 - الشرح الصغير للدردير 4/ 84 ط دولة الإمارات العربية 1985.

الكريم، وقد وصفها بأنها حدائق ذات بهجة يقول الله تعالى: ﴿**فأنبتنا به حدائق ذاتَ بهجة ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها**﴾ [النمل 62]، وبأنها جزاء للمتقين، يقول الله تعالى: ﴿**إن للمتقين مَفازا حدائقَ وأعنابا**﴾ [النبأ 33]. وصفها القرآن بأنها تتربع على مكان عال فقال: ﴿**كمثَلِ جَنة بِرَبوة أصابها وابلٌ**﴾ [البقرة 264].

ولهذا فقد ضمت بلاد المسلمين حدائق تاريخية، منها حديقة أنشأها هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بني أمية على ظاهر دمشق، وكانت تعرف ببستان هشام. وأنشأ حدائق في الرُّصافة وسميت رصافة هشام، وكانت عبارة عن جنات وبساتين مصغرة عن بساتين دمشق. وكان هشام معتنيا بالفلاحة، وقد عاتب أناسا كانوا ينفضون الزيتون بقوة، وقال لهم: التقطوه لقطا، ولا تنقضوه نقضا فتفقأ عيونه وتكسر غصونه[1].

ونقل الفكرة من بعده حفيده عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، فأنشأ بها حديقة عرفت بحديقة الرصافة، وقد وصفها المقري نقلا عن ابن سعيد وقال: إن بها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية[2].

وأنشأ السلطان محمد الثاني من ملوك بني نصر بالأندلس جنة العريف بالحمراء قرب غرناطة، وجعلها على مدرجات لا يزيد عرض الواحد منها عن ثلاثة عشر مترا. ولا زال ما تبقى منها شاهدا على مستوى الذوق الذي كان للأندلسيين.

وفي المغرب أنشأ عبد المومن الموحدي بمراكش بستانا واسعا سماه بستان المسرة، وجلب له الماء من أغمات، وأحدث بستان الصالحة وهو من بساتين أكدال، ولا زال مشهورا بهذا الاسم إلى الآن، وخلد الأدب الشعبي المغربي ذكره، فكان الأطفال ينشدون: (ياجرادة مالحة أين كنت سارحة في جنان الصالحة)[3].

---

1 - مختصر تاريخ دمشق لابن منظور تحقق: روحية النحاس ومحمد الحافظ. 27/ 99 دار الفكر دمشق 1990.
2 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب أحمد المقري تحقيق د إحسان عباس 1/ 467 دار صادر بيروت 1988.
3 - تاريخ النبوغ المغربي عبد الله كنون 1/ 139 مكتبة المدرسة بيروت 1961.

وأحدث الموحدون بساتين أخرى في مكناس وفاس والمقرندة وتازة، وأحدثوا بساتين في قرية بليونش بضاحية سبتة[1]. وأحدث أبو سالم المريني بفاس حديقة سميت روض الغزلان، وأنشأ المرينون بفاس حديقة سميت بستان آمنة، نسبة إلى آمنة بنت السلطان المريني أحمد بن أبي سالم، كما أنشأوا حديقة المصارة بالضاحية الشمالية لفاس، وهي فضاء واسع للتنزه، وأنشأوا فضاء آخر في ناحية تازة عند مزارع بني عبد الله[2].

ومن أشهر البساتين التاريخية بالمغرب حدائق شالة، وقصبة الأوداية، ومن أشهرها حديقة جنان السبيل بفاس، وقد أنشأه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر، وتبلغ مساحته 8 هتكارات، وتضم حوالي ألف نوع من الأغراس، وبعضها نادر لا يكاد يوجد إلا في الصين وفي الهند.

وعلى العموم فقد اعتنت البيوت بغرس الأشجار، فكان البيت يحتوي على حديقة صغيرة أو على شجرة إن ضاقت مساحة فنائه.

---

1 - حضارة الموحدين محمد المنوني 162 ط باب توبقال 1989.

2 - ورقات عن حضارة المرينيين محمد المنوني ص 58. ط كلية الآداب الرباط 1996.

حماية الإسلام لمكون الماء من مكونات البيئة

لقد أولى القرآن الماء عناية فائقة، وتحدث عنه بما يفيد أنه مقوم الحياة الذي يجب الحفاظ عليه.

وقد ذكر الله عن الماء أنه هو أصل كل كائن حي فقال:﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ [الأنبياء 30] وفصل القول فيما خلقه الله من أنواع من المخلوقات من الماء فقال:﴿**والله خلق كل دابة من ماء**﴾ [النور 43]. وتحدث عن الأصل المائي للإنسان فقال: ﴿**فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق**﴾ [الطارق 06].

وبالإضافة إلى تقرير القرآن حقيقة نشأة الحياة من الماء، فإنه قد توسع في الحديث عنه، فذكره ثلاثا وستين مرة، وتحدث عنه في صوره المختلفة وحالاته الكثيرة، فتحدث عنه وهو ماء عذب زُلال، أو ملح أجاج، أو ماء ساخن يشوي الوجوه، أو بارد ينعش الجسم، يشرب منه المؤمنون من أكواب كانت قوارير، وتحدث القرآن عن الماء وهو مشوب بالكافور والزنجبيل الذي يمنحه لذعة لذيذة، وتحدث عن الماء وهو يسقي ما حوله، ويشيع الخصب فيه، وتحدث عنه القرآن وهو طوفان كاسح يغرق المكان، وتحدث عنه وهو يحمل السفن التي تقل الأشخاص والبضائع.

ومن خلال أحاديث القرآن المتكررة عن الماء نستشف أنه كان يقصد بها إلى أن يعرف الناس بأهمية الماء وضرورته للحياة، وتحدثت عنه السنة النبوية فدعت إلى ترشيد استعماله وإلى المحافظة عليه.

لقد تحدث القرآن عما يجلبه الماء من خصب ورخاء حين يجمع ويصرف في جداول وسواقي تروي بمائها الأرض، ومثل القرآن صورة لهذه الحالة بذكره للحضارة التي نشأت على ضفاف سد مأرب فقال الله تعالى: ﴿**لقد كان لِسَبَإٍ في مساكنهم آيةٌ جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبة وربٌّ غفور**﴾ [سبأ 15].

وتحدث القرآن عن العمران الذي انتشر بسبب وجود الخصب الذي يحدثه الماء، لأن الناس حين يجدونه ينشؤون تجمعات سكانية تتطور إلى مدن مزدهرة، لكن ذلك العمران سرعان ما يزول بمجرد أن ينعدم الماء، وقد ذكر الله عن أهل مأرب أن مدنهم قد تكاثرت وتقاربت جدا حتى صاروا يتمنون أن يكون بينها فراغ، فقال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا**﴾ [سبأ 19].

وذكر القرآن أن من نعم الله على الناس أنه حفظ لهم الماء في جيوب واسعة في باطن الأرض تلبي حاجتهم إلى الماء حينما ينقبون عنه وينزحونه، أو حينما ينبجس الماء عيونا عادية أو ينفجر عيونا ارتوازية قوية لتتشكل من تلك المياه أنهار قد تتسع للملاحة وتصلح للسقي، أو لتوليد الطاقة، أو لغير ذلك من الأغراض التنموية، يقول الله تعالى عن نعمة تخزين الماء وحفظه: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض، وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾ [المومنون 10].

ونبه القرآن إلى أن الماء وإن كان محفوظا في خزانات واسعة في باطن الأرض وفي تجاويف الجبال، فإن ذلك كله لا يضمن بقاءه دائما، لأن بالإمكان أن يغور وينحدر إلى مستوى أعمق من الأرض، أو ينضب نهائيا، وهو ما لا يكاد أكثر الناس يتوقعه حينما يجدون مصادر المياه أمامهم ثَرَّة غزيرة.

وحين يذكر الله تعالى بإمكان نضوب الماء، فذلك لأجل أن يتوقع الناس حالة نضوب الماء ويعملوا على تفاديها يقول الله تعالى: ﴿**قل ارايتم إن اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين**﴾ [الملك 30].

إن هذه الآية تلوح بإمكان حدوث الجفاف الذي يعقبه التصحر وانتهاء كل مظاهر الحياة، وهي الحالة التي أصبح العالم يعيشها حاليا في مناطق كثيرة من إفريقيا وغيرها، ويشاهد الناس ما تخلفه من آثار مدمرة ومن مجاعات ومن هجرات جماعية كبيرة، ومن صراعات وحروب متتالية من أجل الاستحواذ على منابع المياه.

حماية الإسلام للثروة المائية

سيرا على منهج الإسلام في إقرار الحقائق والإقناع بها، فقد تناول القرآن والحديث النبوي قضية المحافظة على الثروة المائية من زوايا عديدة، جمعا فيها بين إبراز أهمية الماء، وبين تشخيص حالة نضوبه، وما ينشأ عنها من تغيرات طبيعية، ومن اختلالات اجتماعية عميقة.

وأول ما سعى إليه القرآن هو الإقناع بتصور إمكان نضوب الماء وانعدامه، وهو أمر كان مستبعدا في البيئات التي كانت تعرف وفرة في المياه بسبب كثرة الأنهار وتعدد موارد المياه، وقد قال القرآن بعد تقرير حقيقة إمكان نضوب الماء: ﴿**قل أرايتم إن اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين**﴾ [الملك 30].

وحين تنضب موارد الماء ويغور في أعماق الأرض، فإن الإنسان لا يملك حينئذ إلا أن يتحسر على تفريطه وإضاعته الماء.

ومن أجل أن يقنع الإسلام الناس بضرورة المحافظة على المياه، فقد كانت له توصيات عديدة، منها:

أولا: النهي عن الإسراف في استعمال الماء

لقد جاء التحذير من الإسراف في استعمال الماء في نصوص عديدة. منها قوله تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ [الأعراف 29].

والآية تقرن بين النهي عن الإسراف في الأكل، والإسراف في الشرب، وشرب الماء هو أكثر الوظائف إفادة للإنسان، ومع ذلك فإن تبذيره ليس مأذونا فيه.

وروى الإمام أحمد وابن ماجة أن النبي ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ، فقال ما هذا السرف ياسعد، قال أفي الوضوء سرف؟ قال نعم وإن كنت على نهر جار[1].

وقد تمثل الرسول ﷺ هذا الذي كان يدعو إليه، فكان يقتصر في وضوئه على

1 - مسند أحمد بن حنبل 2/ 221 دار الكتب العلمية بيروت .

مد ماء، وفي غسله على أربعة أمداد. جاء في الحديث: **كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد**[1].

وسعة المد نحو لتر ونصف من الماء، وهو كاف للوضوء. بل إن الرسول ﷺ قد توضأ بثلثي المد من الماء.

وقد ظل المسلمون محافظين على الاقتصاد في استعمال الماء، فكانت الأواني المعدة للوضوء صغيرة قليلة السعة، وكان الناس يجدونها في أماكن الوضوء في المساجد ويشترونها لبيوتهم، وكانت تلك الأواني تتخذ معيارا شرعيا لما يصح به الوضوء.

وحين وصلت البيوت والمساجد بصنابير المياه، وصار الناس يتوضؤون منها مباشرة، فإنهم أضاعوا المعيار الشرعي للقدر الكافي من الماء في الوضوء، وتجاوزوا الحد فيه، وأصبحوا يسرفون في استعماله، فيتوضؤون بما يزيد على القدر الكافي بأكثر من عشر مرات، وأصبحوا يغتسلون تحت رشاشات الحمامات لمدة طويلة يهدرون فيها مياها كثيرة. وكثيرا ما لا يميزون بين الاغتسال الشرعي الذي يرفع الحدث وهو عبادة، وبين الاستحمام العادي، فيهدرون مياها كثيرة.

ومن قبل هذا كان الناس يتوضؤون من صهاريج الماء الموجودة في المساجد، وكانت المياه تجلب إليها من الآبار أو من السواقي، لكن الحنفية كانوا يرون أن الماء إذا استعمل لم يعد صالحا للوضوء، وكان لهم قول خاص في مسألة الوضوء من الفَساقي وهي الحياض الصغار، ومغاطس الحمامات وأحواض المساجد[2].

ولما جلب الماء إلى أحواض المساجد في قنوات تفتح بالصنابير سمى الناس تلك الصنابير حنفيات، لأن الوضوء منها يوافق رأي أبي حنيفة في ماء الوضوء.

من الإجراءات الحامية للثروة المائية خصوصا دعوة الإسلام إلى تقليل الماء حين يكون استعماله ملتبسا بالعبادة وجزءا منها، ومنها الوضوء والاغتسال وغسل الميت وإزالة النجاسات.

---

1 – صحيح البخاري كتاب الوضوء باب الوضوء بالمد.

2 – رد المحتار على الدر المختار لمحمد بن عابدين تحقيق: عادل عبد الموجود 1/ 327 دار الكتب العلمية بيروت 1994.

والواجب في هذه العبادات أن لا تلابسها مخالفة شرعية، وبذلك أصبح الاقتصاد في استعمال الماء حكما شرعيا يجب التزامه.

لقد تحدث النبي ﷺ عن المبالغة وتجاوز الحد في استعمال الماء فوصفها بالاعتداء، فقال: **«إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور وفي الدعاء»**[1].

وقد جاء رجل يسأل النبي ﷺ عن الوضوء فأراه كيف يكون غسل العضو ثلاثا ثم قال هكذا، فمن زاد على هذا أو نقص، فقد أساء وظلم[2].

وفرع الفقه عن هذا التوجيه القول بكراهة الزيادة في عدد مرات الوضوء عن الثلاث، وقال الإمام أحمد: لا يزيد عن الثلاث إلا رجل مبتلى[3].

ثانيا: حماية الإسلام لمصادر المياه

لقد أقر الإسلام أحكاما عديدة قصد بها إلى حماية مصادر المياه، وجعل من أهم حقوق تلك المصادر أن يراعى حريمها.

وحريم الماء هو الحيز المجاور لمصدر الماء، وهو تابع له في وجوب صيانته وعدم التصرف فيه بأي فعل قد يلحق به الضرر كأن يجففه أو يلوثه.

وقد جاء تحديد حريم العين والبئر في خطاب الرسول ﷺ الذي قال فيه: **«من حفر بئرا فله أربعون ذراعا عطَنا لماشيته»**[4].

ودلالة الحديث أن البئر قد تكون بئرا لسقي الماشية، أو لسقي الزراعة، فإذا ضيق عليها بحفر بئر أخرى إلى جانبها، أو أحدث قربها بناء أو فلاحة، فإن ذلك قد يحول دون إمكان الاستفادة منها. وتختلف المسافة بسبب الحاجة بين أن تكون بئرا لسقي الماشية أو لسقي الزرع.

---

1 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب الإسراف في الماء

2 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب الوضوء ثلاثا ثلاثا.

3 - سنن الترمذي أبواب الطهارة باب ما جاء في الوضوء ثلاثا.

4 - سنن أبن ماجة كتاب الرهون باب حريم البئر الحديث 2446.

وتفريعا على حق مصدر الماء في مراعاة حريمه، فقد تحدث الفقهاء عن حريم العين وحريم النهر.

وللفقهاء أقوال عديدة في مقدار الحريم بالنسبة للبئر والعين وللنهر، لكن فقهاء المالكية لم يحددوا الحريم بمسافة معينة[1]، واعتبروا أن ذلك يختلف بحسب طبيعة الأرض، وكونها صلبة أو رطبة، وكون البئر كبيرة أو صغيرة. وقال عياض: «إن حريم البئر هو ما يتصل بها من الأرض التي من حقها أن لا يحدث فيها ما يضر بها، لا باطنا كحفر بئر ينشف ماءها أو يذهبه، أو يغيره كحفر مرحاض لطرح النجاسات فيه، ويصل إليها وسخه ولا ظاهرا كالبناء والغرس»[2].

وتحدث الفقه عن حريم الأنهار، وحدده في ضفتي النهر، وقدره بنصف عرض النهر، فلا يجوز البناء على حريم النهر ولا استغلاله، ولم يقل المالكية بتحديده في مقدار معين، وإنما قالوا إن حريم النهر هو المجال الذي يحتاجه النهر من أجل استغلاله وإلقاء الطين فيه عند تنظيفه. ويلحق بما سبق حريم البحر.

1 - المدونة الكبرى مالك بن أنس رواية سحنون. تحقيق: حمدي الدمرداش محمد ص. 2401 ج 7 المكتبة العصرية بيروت ط.1. 1999.

2 - - الشرح الصغير على أقرب المسالك للدردير. 4/ 89. ط الإمارات العربية 1989.

التلوث البيئي
وموقف الإسلام منه

التلوث مفهومه العلمي والديني

لقد دفعت التغييرات البيئية وتأثيراتها الكبيرة على حياة الإنسان إلى إيلاء موضوع التلوث أهمية بالغة، وتطلب ذلك الانتقال بكلمة التلوث من دلالتها اللغوية الواسعة، إلى تحديد دلالات علمية دقيقة متخصصة يصطلح عليها الجميع، ويتداولها المشتغلون بقضايا البيئة.

ولهذا فقد أصبح ضروريا من الوجهة المنهجية أن يضبط مفهوم التلوث، وترصد أنواعه وتجلياته وآثاره قبل تفصيل القول فيه.

لقد تناولت بعض المصادر المهتمة بضبط المفاهيم تعريف التلوث، وصاغت له تعاريف عديدة منها:

إن التلوث هو الوضع القائم بالبيئة نتيجة ما طرأ عليها من تغيرات مستحدثة، عادة ما تكون بفعل الإنسان، وتتسبب هذه التغيرات عادة في آثار سيئة على الطبيعة بمكوناتها المختلفة[1].

أ. المفهوم الديني للتلوث

إن التعبير بكلمة "تلوث بيئي" هو استعمال مستحدث، أفرزته التغيرات البيئية التي جلبها التصنيع والإفراط في إصدار الانبعاثات الغازية الدفيئة، المسؤولة عن امتصاص الأشعة وعن احترار الجو، كما جلبها اجتثاث الغابات والاعتداء على مكونات المجال. لذا فإن البحث عن الكلمة بهذه الحمولة الدلالية ذاتها، في مصادر المعرفة الإسلامية، يبدو سعيا غير مجد، لكن هذا لا يعني أن المصادر الإسلامية لم تتنبه إلى حقيقة التلوث، ولم تتحدث عن مواصفات الاختلال البيئي على المستوى الذي كان يتم به، وإن كان مستوى ضعيفا، إذا ما قورن بما آلت إليه الأوضاع البيئية بعد تطور عمليات التصنيع، وتعاظُم آثارها وتكاثر النفايات والمقذوفات الكميائية والنووية.

1 - الإنسان والبيئة: عبيد هاني ص:181 دار الشروق عمان 2000

وقد يكون مفيدا أن أذكر في هذا المقام أن اللغة الفقهية قد استعملت كلمة اللوث، وهي من الجذر اللغوي للتلوث، وهي تعني في لغة الفقه القرينة التي تعضد وتؤيد البينة الشاهدة على القتل، فإذا طعن شخص طعنة مميتة، وقبل أن يسلم الروح قال: فلان قتلني، أو: دمي عند فلان، فإن هذا القول ليس حجة ولا دليلا كافيا لإثبات القتل، وإنما يصح أن يكون قرينة داعمة إذا وجدت بينات أخرى صحيحة[1]. وبهذا يكون مفهوم اللوث هو العلامة التي توجه مسار البحث ليمضي في الطريق الذي قد يؤدي إلى الحقيقة.

ب. تعبير القرآن بالإفساد عن التلوث

إذا كان القرآن لم يستعمل لفظ التلوث بالذات، فإن ذلك لا يعني أنه لم يشر إلى حقيقته بالمرة، لأنه قد تناول مضمونه وأوضحه في سياقات عديدة.

فقد عبر القرآن عن معنى التلوث بتعابير أخرى، وأقربها إلى أداء معنى التلوث استعماله لكلمة الفساد بمعناه العام، وهو لا يقف عند المدلول الأخلاقي للكلمة، كما عبر القرآن عن الاختلال البيئي بعبارة أخرى هي تغيير خلق الله.

والتلويث يجمع المعنيين القرآنيين السابقين، فهو من جهة تغيير لخلق الله في صورته ومظهره، وهو في حقيقته وجوهره من جهة أخرى إفساد وإرباك للوضع السليم الذي خلق الله عليه الأشياء في حقيقته ومعناه.

والفساد في أصله اللغوي يستعمل للدلالة على نقيض الصلاح وعلى التغير والاضمحلال، ومنه قول الله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا**﴾[2].[الأنبياء 22].

وعرفت معاجم اللغة القرآنية الفساد بأنه خروج الشيء عن الاعتدال والاستقامة، قل ذلك الخروج أو كثر، ويكون في الأعيان والمعاني[3].

1 - الشرح الصغير لأحمد الدردير 4/ 407 دولة الإمارات العربية المتحدة 1989.
2 - تاج العروس للزبيدي تحقيق علي شيري. مادة: ف س د 5/ 164 ذار الفكر 1994.
3 - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف السمين الحلبي مادة ف س د 3/ 272 - مفردات الراغب الأصفهاني ف س د 393 تحقيق: نديم مرعشلي دار الفكر.

واستعمال القرآن الفساد بمعنى الاختلال والاضطراب الذي يحدثه الإنسان في نظام الأشياء متكرر في آيات عديدة، منها قول الله تعالى عن فعل الإنسان الذي يبيد النسل ويهلك الحرث: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**﴾ [البقرة 203].

وقد تولت الآية ذاتها تفسير معنى السعي في الأرض بالإفساد، بأنه عبارة عن إهلاك الحرث وإبادة النسل.

وبهذا تكون كلمة الفساد من قبيل الألفاظ القرآنية التي فسرها القرآن نفسه، فلا تحتاج إلى تفسير آخر يقدمه الغير، لأن صاحب القول أدرى بمراده.

من الآيات التي استعملت فيها كلمة الفساد مرادفة للإخلال بالتوازن البيئي قول الله تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**﴾ [الروم 40].

وإذا أمكن حمل الإفساد الذي اكتسبه الإنسان في البر على أنه يشمل كل الإحداثات المادية، وكل الآثام والمعاصي المعنوية التي يرتكبها الإنسان، ويلحق بسببها الضرر بالإنسان والحيوان وبباقي مكونات البيئة، فإن الفساد الذي يلحقه الإنسان بالبحر يتم بما يقذفه الإنسان ويسربه إلى البحر من ملوثات عن طريق إلقاء النفايات والقاذورات والجيف في الأنهار التي تحملها إلى البحار، ويرى أثر ذلك في مصبات الأنهار التي تأوي إليها طيور تقتات على ما يتجمع فيها من مقذوفات النهر قبل أن تمتزج بمياه البحر.

وقد وجدت في واقع الحياة في عصر النبوة أمثلة قريبة من هذا، فكان بعض الناس يطرح الجيف وغيرها من الملوثات في بعض المياه، ومنها: بئر بُضاعة التي سئل النبي ﷺ عنها، وأفردت بعض كتب الحديث لها حيزا، منها ما ساقه أبو داوود في كتاب الطهارة: باب ما جاء في بئر بضاعة[1].

---

1 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب ما جاء في بئر بضاعة.

وقد تعاظم الإفساد الذي ألحقه الإنسان بالبحر لما صب فيه مقذوفات قنوات الصرف الصحي، وقنوات المياه المستعملة في المصانع، فصارت مياه البحر ملوثة بمواد سامة، أهلكت الكثير من الكائنات البحرية ومن الطحالب والأسماك، ثم أصبحت السفن العملاقة مدنا عائمة فوق البحار، ومثلت مصدر إفساد كبير للبحر بما تقذفه في غفلة من الخفر البحري من زيوت المحركات، ومن نفايات المعامل المنشأة على ظهرها، ومن كميات النفط المتسربة إلى البحر، خصوصا في حالات غرق ناقلات النفط.

وكل هذا الإفساد هو تلوث بيئي حدث وتوالى وتعاظم بفعل الإنسان وبإرادته، وبتقديمه للمنافع العاجلة على حساب المنافع الآجلة.

ج. التعبير القرآني بتغيير خلق الله عن التلوث

أما عن التعبير القرآني عن التلوث بتغيير خلق الله فهو يتناول ما يحدثه الإنسان من تغييرات على الطبيعة التكوينية للمخلوقات، في تجاهل تام للحكمة من خلقها على الوضع الذي خلقت عليه.

وقد أخبر القرآن أن هذا التغيير يتم بإيحاء من الشيطان وبتسويل منه، لأن ذلك فعل يرضيه، لأنه مشروع يؤول في نهايته إلى الانتقام البطيء من الإنسان بعد أن يسلبه ذلك التغيير خصوصيته وكينونته ويدمر آدميته.يقول الله تعالى متحدثا عن إعلان إبليس في تحد سافر عن مشروعه للإفساد العام: ﴿**ولأُضلنهم ولَأُمنينهم ولآمرنهم فلَيبتِكُن آذان الانعام ولآمرنهم فلَيُغَيِّرُنَّ خلق الله**﴾ [النساء 118].

وحديث الآية عن تبتيك آذان الأنعام هو حديث عن فعل كان الناس يقدمون عليه بوحي من اعتقادات فاسدة، إذ كان من عاداتهم أن يخصصوا بعض الإبل والشياه لتكون قرابين للآلهة، فكانوا يقطعون آذانها ويبتكونها، ليكون ذلك علامة على أنها قربان للآلهة وكانوا يسمونها بحيرة[1].

---

1 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د جواد علي 6/ 204 ط جامعة بغداد 1993.

وقد أنكر القرآن هذا التصرف في أجسام الحيوانات، وأنكر قبل ذلك تلك العقائد التي أفرزته، فقال الله تعالى: ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ ولكنَّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون**﴾.[المائدة 103].

وقد أشارت الآية إلى أن من نهج إبليس وهو رمز الشر في العالم، ومن أسلوبه في الإغراء أن يدعو إلى تغيير خلق الله في جميع المخلوقات، وبذلك يدخل الخلل عليها كلها.

وليس من قبيل التغيير إشعار الإبل في الحج، وهو فعل أشبه ما يكون بالفصد بالنسبة للإنسان، وهو يتم في أسنمة الإبل بما لا يزيد عن مقدار الأنملتين لا غير، والقصد منه إعلام الناس بأنها هدي لئلا يعتدى عليها، ولترد إلى باقي الهدي الذي يستفيد منه الفقراء والمحتاجون.

وما تحدث القرآن عنه من تغيير خلق الله في أجسام الحيوانات وسلوكاتها، قد وثقته بعض نصوص الشعر وروته بعض كتب التاريخ.

من صور التغيير الذي أحدثته العرب على طبائع الحيوان تحويلهم الحيوانات العاشبة إلى حيوانات لاحمة، وهو التغيير الذي أفضى أخيرا، وبعدما كثر إلى ظهور أمراض غريبة أصابت الحيوانات، ومنها مرض جنون البقر.

وفي كتب السيرة والأدب أن النمر بن تولب كان شاعرا، وفد على النبي ﷺ، فأنشده قصيدة تحدث في مطلعها عن مشاق السفر، وذكر فيها أن الزاد كان ينفد معهم لطول السفر في الصحراء، فإذا جاعت الخيل أطعموها اللحم المقدد الذي كان يأكل منه الإنسان.

يقول النمر بن تولب:

إنا أتيناك وقد طال السفر ... نقود خيلا ضُمَّرا فيها عَسَر

نطعمها اللحم إذا عز الشجر ... والخيل في إطعامها اللحم ضرر[1]

1 – أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير تحقيق محمد إبراهيم البنا الترجمة 5288 ج5/ 257 دار الشعب.

والبيت الأخير يسجل أن العرب كانت تطعم الخيل لحما رغم كونها حيوانات عاشبة، وقد أقر الشاعر بأن ذلك الإطعام ليس طبيعيا، وأنه يمثل ضررا على الخيل، وهو اعتراف بمغبة إخراج الحيوان عن طبيعته ونقله من حيوان عاشب إلى حيوان لاحم، وقد سمع النبي ﷺ هذا الشعر وأقر صاحبه على مضمونه ولم ينكر عليه.

ومن التغييرات التي أحدثتها العرب على الحيوان ما ذكره المؤرخون من أنهم كانوا يصطادون السمك ويجففونه ويملحونه لوقت الحاجة، وقد يجعلونه علفا للحيوانات ليطعموها منه في أوقات الجدب والجفاف[1]. وهذا الفعل يشبه إلى حد بعيد ما وقع في الأزمنة الحديثة من إطعام البقر والدجاج دقيق السمك، فكانت له عواقبه الوخيمة على صحة الحيوان والإنسان معا. كما كان لعمليات التعديل الجيني وإضافة هرمونات آثارها الوخيمة على الصحة البشرية.

وبخصوص الإنسان فقد وردت في الشريعة أحكام تمنع تغيير خلقة الإنسان مما لا يدعو إليه داع صحي أو اعتبار اجتماعي سليم، وهكذا فقد منع الإسلام الوشم لأنه يتم بحفر الجلد وحقنه بمواد أجنبية عنه، ومنع الإسلام التفليج بين الأسنان الذي ينال من ميناء السن ويعرضها لاختراق الأجسام الغريبة.

موقف الإسلام من ملوثات البيئة

بقدر ما ألح الإسلام على تقوية مكونات البيئة ودعم وجودها، فإنه قد حرص بالقدر نفسه كذلك على حمايتها من كل الملوثات التي تضر بالبيئة وبصحة الإنسان وسلامته.

وسأتناول في العرض موقف الإسلام من الملوثات التالية:

1. موقف الإسلام من تلويث الماء
2. موقف الإسلام من تلويث الهواء بالأدخنة.

---

1 - المفصل في تاريخ العرب جواد علي 7/ 120 ط جامعة بغداد 1993.

3. موقف الإسلام من تلويث الهواء بالروائح الكريهة.

4. موقف الإسلام من التلويث بالضوضاء.

5. موقف الإسلام من التلويث بالاهتزاز

أولا: تلويث الماء

لقد أقر الإسلام أصلا جوهريا عن طبيعة المياه، حينما اعتبر أن الأصل في المياه هو الطهورية، التي تعني أنها طاهرة في نفسها ومطهرة لغيرها.

ومستند هذا الأصل قول الله تعالى عن الماء الذي أنزله من السماء: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهورا**﴾ [الفرقان 48]. وقوله: ﴿**ويُنَزل عليكم من السماء ماء ليُطَهِركم به**﴾ [الأنفال 11].

ومستنده أيضا قول النبي ﷺ لما سئل عن ماء بئر بُضاعة "**الماء طهور لا ينجسه شيء**"[1].

وقد ذهب مالك إلى أن الماء طهور بأصله، إلا إذا تغير لونه أو طعمه أو ريحه.

وقد صنف الفقه المياه ورتب أحكام استعمالها بناء على سلامتها من التلوث أو وقوعه فيها.

والمياه ثلاثة أنواع هي:

ماء طهور، وهو الماء المطلق غير المختلط بشيء خارج عن طبيعته، ويندرج في الماء الطهور، الماء الممتزج بما يلازمه غالبا كالمعادن والطّحالب والأعشاب المائية وأوراق الأشجار التي تسقط فيه. ويضاف إليه بحكم التطور الماء الذي أضيفت إليه مواد مطهرة أو معقمة أو قاتلة للطفيليات، كمادة الكْلور.

وماء طاهر غير طهور، وهو الماء الذي اختلط بما لا يلازمه في الغالب، مما ليس نجسا كأن يختلط بزيت أو صابون أو بأي مادة أخرى غير نجسة تمتزج به.

1 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب ما جاء في بئر بضاعة.

وحكم هذا الماء أنه طاهر في نفسه، لكنه ليس طهورا، فلا يصلح للوضوء أو الاغتسال أو لإزالة النجاسة، وهو يصلح للاستعمالات العادية كالشرب والطبخ والتنظيف العادي به.

وماء ليس طهورا ولا طاهرا، وهو ما اختلط بغيره من النجاسات إذا كان الماء قليلا، وكانت النجاسة كثيرة [1]. وهذا الماء النجس لا يصلح لا للعبادة ولا للعادة.

وقد نص بعض الفقهاء على أن الماء إذا تغير لونه بمثل ورق الشجر وما يسقط فيه، فإنه لا يطرح ويتوضأ به من غير أن يكون ذلك الوضوء به حراما [2].

إن تمييز الإسلام بين المياه بناء على صفائها وسلامتها من كل ما يخالطها مما ليس وجوده فيها وجودا طبيعيا، قد كان ولا شك عاملا قويا دفع المسلمين إلى الحرص على منع تلويث المياه ومزجها بغيرها، ولو لم تكن تلك الملوثات نجسة.

منع تلويث المياه في النصوص الشرعية

لقد وردت نصوص نبوية عديدة تمنع تلويث الماء. ومنها قول النبي ﷺ: **"لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"** [3].

وعن جابر أن رسول الله ﷺ نهى عن أن يبال في الماء الراكد.[4]

وورد أن النبي ﷺ نهى أن يبال في مياه الاغتسال. **"لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه"**[5].

ونهى رسول الله ﷺ في التبرز في الماء فقال: **"اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل"**[6].

1 - المقدمات الممهدات لأبي الوليد بن رشد تحقيق محمد حجي 1/ 85. دار الغرب الإسلامي.
2 - المذهب في ضبط مسائل المذهب، لمحمد بن راشد القفصي، تح د. محمد أبي الأجفان. 1/ 152. المجمع الفقهي أبو ظبي 2002.
3 - البخاري كتاب الوضوء، باب البول في الماء الراكد.
4 - صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد.
5 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب في البول في المستحم.
6 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها.

وإلى جانب هذا التلويث الكبير، فقد نهى الرسول ﷺ عن تلويثات أصغر قلما يتنبه لها الناس، فنهى عليه السلام عن التنفس في إناء الماء، فقال: "**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الماء**"[1].

ونهى النبي ﷺ عن النفخ في الماء، لأن النفخ يخرج معه هواء فاسد في الأحوال العادية، وقد تخرج معه جراثيم معدية، إذا كان النافخ حاملا لمرض معد، وقد يخرج معه شيء من الريق، وكل ذلك يؤدي إلى تغير إحدى صفات الماء، خصوصا رائحته. جاء في حديث عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ "**أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه**"[2]، وقال ابن حجر: "**النفخ أشد من التنفس**"[3].

ويكشف عن خطورة نفخ الهواء ما أصبحت الأنظمة الصحية الصارمة تلزم به من وجوب وضع كمامة طبية على الفم قبل الاتصال بالمرضى تفاديا لنقل الأمراض المعدية إليهم. كما يلزم بهذا الاحتياط في حال الاختلاط في المحتشدات كالحج واللقاءات العامة.

وقد نهى الرسول ﷺ عن إدخال اليد في الماء بعد الاستيقاظ من النوم، فقال ﷺ: "**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمسن يده في الماء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده**"[4].

وأخذا من هذا، فقد ذكر الفقهاء أن من مستحبات الوضوء غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء.

ومن الأحكام التي حمى بها الإسلام الماء من التلوث نهيه ﷺ عن ترك أواني المياه مكشوفة غير مغطاة، خصوصا بالليل. ومنها نهيه عن عدم إغلاق أفواه القِرب وأوعية المياه، يقول الرسول ﷺ: "**غطوا الإناء وأوكئوا السقاء**"[5].

1 - صحيح البخاري كتاب الأشربة باب التنفس في الماء.
2 - سنن أبي داود كتاب الأشربة باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه.
3 - فتح الباري شرح صحيح البخاري الحديث 5630 ج11/ 6779 المكتبة العصرية صيدا 2009.
4 - سنن الترمذي أبواب الطهارة باب إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها.
5 - صحيح مسلم كتاب الأشربة.

وفي الحديث دعوة إلى تغطية أوعية الماء حتى لا يتسرب إليه شيء مما يغيره، سواء كان طاهرا أو نجسا. وفيه دعوة إلى إيكاء السقاء وربطه حتى لا يدخله شيء.

ولما سعى المسلمون إلى المحافظة على الماء نظيفا غير ملوث، فقد دعاهم ذلك إلى فصل المياه المستعملة عن المياه النظيفة، فقالوا بحريم الماء وبعدم جواز إحداث المراحيض بقربه كما ذكر ذلك القاضي عياض[1]، وأحدث المسلمون منذ زمن مبكر قنوات الصرف الصحي.

يذكر جوزيف لوسيوني أن أموال الأوقاف قد صرفت في إنجاز قنوات للصرف الصحي، وقد بلغ طول هذه القنوات ثلاثة وستين كيلومترا في فاس وخمسين كيلومترا في مراكش.[2].

وفي بعض حوالات وجدة أن طول قنوات مجاري المياه بلغ أربعا وخمسين كيلومترا.

والملاحظ أن تدبير المياه الملوثة قد تم في المغرب في زمن مبكر، على حين أن هناك مدنا لا تدبر المياه العادمة بكيفية صحية، لأنها لا تتوفر على قنوات للصرف الصحي.

وبسبب تدبير مياه الواد الحار، فقد ظلت المدينة الإسلامية نظيفة غير ملوثة، لأن المياه النجسة لا تصح الصلاة بالثوب الذي تصيبه.

ثانيا: تلويث الهواء بالأدخنة

إن التركيبة التي خلق الله عليها أجزاء الكون تشعر بوجود انسجام وتناغم وتكامل بينها، وهذا وضع تستفاد منه حقائق كبرى، منها حقيقة وحدة الخلق وانضباط مكوناته لحكمة عليا تجعل منها نسقا منظما غير متناثر الأجزاء.

من شواهد الانسجام والتكامل بين مكونات البيئة أن الله خلق جسم الإنسان

1 - الشرح الصغير للدردير 4/ 89.

2 - المؤسسات الحبسية بالمغرب، جوزيف لوسيوني، ترجمة نجيبة غرابي، ص 143، دار أبي رقراق 2010.

محتاجا إلى التخلص الدائم من نفايات حركة الدم ودورته التي يؤمن بها للأنسجة غذاءها وقوتها ويساعد على نموها، وخلق إلى جانب ذلك هواء ملأ به الجو المحيط بالإنسان، وجعله في متناوله.

ومن أجل أن تتم استفادة الإنسان من الهواء المحيط به في يسر وانتظام، فإن جهاز التنفس يستنشق الهواء الموجود في الخارج لتقوم الرئتان بإنجاز عملية تبادل الغازات، فيتزود الجسم بالهواء النقي، ويتخلص من ثاني أكسيد الكربون.

ومن أجل أن تتم هذه العملية بصورتها الصحيحة، فإن ذلك يتطلب أن يكون الهواء المستنشق والداخل إلى الجسم نفسه هواء نقيا نظيفا.

وعلى الرغم من حداثة المعرفة بهذه الوظائف التي تندرج ضمن عمليات دورتي الدم الكبرى والصغرى، فإن ذلك لا يعني أن الناس لم يهتدوا من قبل إلى ضرورة المحافظة على نظافة الهواء الذي يستنشقه الإنسان، وقد اهتدى المسلمون بسبب نظرهم في القرآن وفهمهم لتصريحاته وإشاراته إلى أن تشبع الهواء بالغازات الغريبة عنه يجعله ضررا حقيقا.

لقد تعرف المسلمون على خطورة الهواء الممتزج بالدخان من قول الله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم**﴾ [الدخان 10].

لقد سمت الآية استنشاق الدخان عذابا أليما، لأن الاختناق وضيق التنفس هو فعلا عذاب أليم يعانيه المصابون بالربو وضيق التنفس.

وإذا كان استنشاق الدخان عذابا بنص القرآن، فإن ذلك يوجب استبعاده كما تستبعد كل الأضرار التي دعت الشريعة إلى إزالتها بموجب قواعد الضرر المعروفة ضمن قواعد الشريعة الإسلامية.

تحفل مصادر الفقه بنصوص عديدة تعتبر الأدخنة التي يحدثها الناس ضررا تجري عليه أحكام الضرر.

يقول محمد الطالب بلحاج في حاشيته على شرح ميارة على نظم ابن عاشر في الفقه المالكي: فقد صرح الفقهاء في باب الشركة أن الأدخنة والروائح الكريهة مضرة بالأمعاء والأكباد، من أحدثها يمنع من إحداثها[1].

إن نص ابن الحاج يشير إلى مكان وجود الحديث عن الأدخنة من المصادر الفقهية وهو باب الشركة، وهذا يصح بالنسبة لأكثر الكتب الفقهية، لكن المدونة الكبرى وهي أم مصادر الفقه المالكي ومصدره الجامع، قد ورد فيها الحديث عن الأدخنة في باب مستقل، هو باب ما جاء في اتخاذ الحمامات والأفران والأرحية[2].

وقد قسمت المدونة الأدخنة إلى نوعين: إلى دخان خفيف اعتيادي يخالط حياة الإنسان ولا مندوحة عنه، وهو الدخان المنبعث من الارتفاق اليومي لإنضاج الطعام في القدور وأواني قلي الطعام، وهذه الأدخنة ملازمة لحياة الناس ومعاشهم، فلا يمنع أحد من إحداثها، وقد أضاف ابن الرامي البناء إلى هذه الأدخنة الخفيفة ما يحدثه السِّنفاج[3]، ويسمى السفاج في المغرب.

وإلى جانب هذه الأدخنة الخفيفة أدخنة أخرى كثيفة وخانقة تقذفها الأفران الكبرى، وأفران صهر المعادن، وطبخ الآجر والفخار والأواني الطينية، وهذه تمثل ضررا حقيقيا يجب تفاديه وإبعاده عن سكن الناس.

جاء في المدونة سؤال يقول فيه سحنون: أرأيت إن كانت لي عَرصة إلى جانب دور قوم، فأردت أن أحدث في تلك العرصة حماما أو فرنا أو موضعا لرحى، فأبى علي الجيران ذلك، أيكون لهم أن يمنعوني في قول مالك؟، قال: إن كان ما يحدث ضررا على الجيران من الدخان أو ما أشبهه فلهم أن يمنعوك من ذلك، لأن مالكا قال: يمنع

---

1 - حاشية محمد الطالب بلحاج على شرح ميارة لمنظومة ابن عاشر 2/ 143 دار الفكر بيروت.

2 - المدونة الكبرى رواية سحنون 5/ 529 دار صادر ط السعادة 1323 بمصر.

3 - الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي البناء تحقيق د عبد الرحمن بن صالح الأطرم 1/ 206 دار إشبيلية الرياض.

من ضرر جاره، فإذا كان هذا ضررا منع[1].

وقد استمر القول بمنع الأدخنة في كتب الفقه، وقدمت كتب النوازل التي كانت تعالج المستجدات فتاوى عديدة تنتهي كلها إلى منع إحداث الأدخنة الكثيفة.

جاء في نوازل البُرزلي: إن الضرر على ثلاثة أقسام: ما يزال باتفاق كالاطلاع على الجار، وما يؤذيه في جدرانه، والدخان، والإنتنان، والقذارات[2].

وجاء في متن خليل بن إسحاق وهو يتحدث عن أنواع الضرر المترتب عن الشركة في باب الشركة: ويمنع دخان كحمام. وقال عليش في شرحه: يمنع إحداث أي دخان كحمام وفرن ومطبخ[3].

إن كل ما قاله الفقهاء عن منع الأدخنة كان يصدق في وقته على أدخنة كانت يومئذ خفيفة ومؤقتة، لكن ما تقذفه مداخن المعامل ومحركات وسائل النقل الآن هو شيء أضخم وأخطر بكثير من الأدخنة التي تحدث عنها الفقه. وهي أدخنة مركبة ومشبعة بالكثير من المواد السامة والمدمرة للخلايا البشرية، وهي أدخنة كثيفة ومستمرة ومتواصلة في أمدها، ترى آثارها على الجدران وفي البيوت وعلى الألبسة، وهي أدخنة كثيرا ما تحجب الرؤية، خصوصا حين تختلط بالرطوبة في المدن الصناعية الكبرى.

وبإعمال قياس الأولى، يتبين أن أدخنة المصانع الكبرى وما تقذفه وسائل النقل والمحركات الضخمة، كل ذلك يجب أن ينظر إليه على أنه مصدر ضرر حقيقي يجب أن تبذل الجهود الكبيرة للتخفيف من آثاره أو لمنعه حين يكون ذلك ممكنا، وسيقف الفقه مساندا لهذه الإجراءات التي تسعى إلى المحافظة على سلامة الإنسان ووجوده.

---

1 - المدونة الكبرى 5/ 529.

2 - جامع مسائل الأحكام أحمد البلوي البرزلي تحقق محمد الحبيب الهيلة 4/ 388 دار الغرب الإسلامي.

3 - منح الجليل شرح مختصر خليل محمد عليش 6/ 322 دار الفكر 1989.

ثالثا: تلويث الهواء بالروائح الكريهة

لما كان الإسلام حريصا على نقاء الهواء وسلامته من الأدخنة كما سبق بيانه، فقد كان طبيعيا أن يكون له موقف مماثل يحمي به الهواء من أن يتشبع بالروائح الكريهة والمنتنة، لأن الأصل في الهواء النافع لجسم الإنسان أن يكون نظيفا خفيفا لا يحمل جزئيات الروائح الكريهة التي تحدث اختناقا في التنفس أو حساسية في الأعين وفي النسيج الجلدي عموما.

وقد تجلى توجه الإسلام إلى منع انتشار الروائح الكريهة من خلال نصوص وأحكام فقهية عديدة، منها:

إن النبي ﷺ كان يكره الروائح الكريهة وينفر منها، ويحب الروائح الطيبة ويستعملها ويرغب أصحابه في أخذ حظ من الطيب.

من أساسيات العقيدة الإسلامية أن الأنبياء لا يتصفون بما ينفر الناس منهم، ومنه الروائح الكريهة والأوساخ، وقد قيل: إن ثوب أي نبي يمكن أن يكون باليا، لكنه لا يجوز أن يكون متسخا، لأن الوسخ منفر ومانع من الاتصال الذي هو وسيلة أداء الرسالة.

ومن فعل النبي ﷺ أنه كانت له سُكة طيب يتطيب منها[1]، والسكة طيب مشكل من عدة أنواع، تطلق على وعاء الطيب نفسه.

وقد كان عليه السلام لا يرد الطيب، ويدعو من عُرض عليه إلى أن لا يرده، ويعلل ذلك بأنه خفيف المحمل طيب الرائحة[2].

وقد تأسى المسلمون بفعل النبي ﷺ، وهذا ما تطلب أن يكون الطيب وأدواته ومباخره وأواني صنعه وتقطيره من مقتنيات البيوت حاضرة متداولة في المجتمعات الإسلامية، وكان الناس يستعملون الطيب في مناسباتهم الاجتماعية ويتهادونه، وتقدم

1 - جمع الوسائل في شرح الشمائل علي القاري 2/ 3 دار المعرفة بيروت .
2 - جمع الوسائل في شرح الشمائل علي القاري 2/ 4 دار المعرفة بيروت .

أنواع منه عند خطبة المرأة وحين الزواج بها، وكانوا يودعون به الميت فيدرجونه في أكفانه.

ونظرا للحاجة اليومية إلى الطيب بكل أنواعه، فقد كانت المساجد الكبرى في البلاد الإسلامية مطوقة بحزام من دكاكين العطارين.

ومن عادة المغاربة أنهم كانوا يقطرون الزهور والرياحين في بيوتهم، ويتخذون لذلك أعرافا تمتزج بمعنى الاحترام، فيكثرون من الصلاة على النبي ﷺ وهم يقطرون الزهور في أواني يبالغون في تنظيفها، ويحددون للاحتفاء بالورود موسما معينا، كما أن من عادتهم أن يأخذوا العطر باليد اليمنى ويصلوا على النبي ﷺ أثناء ذلك الأخذ، ليكون التطيب حسيا ومعنويا، وليذكروا بأن التطيب من سنة النبي ﷺ.

من النصوص المعبرة عن موقف الإسلام من الروائح الكريهة

قول الرسول الله ﷺ: "**من أكل من هذه البقلة الثوم**، وقال مرة: **(من أكل البصل والثوم والكراث) فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**"[1].

ومنها قول النبي ﷺ عن الاغتسال يوم الجمعة: "**من توضأ (يوم الجمعة) فبها ونعمت، ومن اغتسل فهو أفضل**"[2].

وقد اختلف الفقهاء في حكم الاغتسال يوم الجمعة، فقال ابن حزم وغيره من الظاهرية بوجوب الاغتسال يوم الجمعة، لكن المذاهب الأربعة كانت ترى سنية الغسل يوم الجمعة[3].

وحِرص الإسلام على دعوة المسلم إلى الاغتسال يوم الجمعة يفسره أن يوم الجمعة هو يوم اجتماع كثير من المسلمين، فيضطر فيه الناس إلى الاقتراب من بعضهم، وإلى الجلوس الطويل للإصغاء إلى خطبة الجمعة.

---

1 - صحيح مسلم كتاب الطهارة باب السواك.
2 - سنن أبي داود باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة.
3 - منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد عليش 1/ 443

يضاف إلى هذا أن الاغتسال يتعين على سبيل الوجوب بعد الفعل الجنسي للذكور والإناث.

دعوة النبي ﷺ إلى الاستياك وإلى تنظيف الفم تفاديا لانبعاث الروائح الكريهة: يقول الرسول ﷺ: "**السواك مَطهرة للفم، مَرضاة للرب**"[1].

وقد أدمج الإسلام تنظيف الفم بالماء ضمن عبادة الوضوء، لما جعل المضمضة فعلا من أفعاله، وعززت السنة ذلك بالدعوة إلى الاستياك عند كل صلاة فقال النبي ﷺ: "**لولا أن أشق على أمتي لأمَرتهم بالسواك عند كل صلاة**"[2].

روى أبو داود أن النبي ﷺ:"**كان إذا قام من نومه يشوص فاه بالسواك**"[3].

وبهذا يكون لفم الإنسان المسلم أكثرُ من مناسبة لينظف بها يوميا.

موقف الفقه من الروائح الكريهة والمنتنة

لقد عالج الفقه الإسلامي موضوعات متصلة بمنع الروائح الكريهة، وخلص فيها إلى ضرورة إبعاد مصادر تلك الروائح عن التجمعات السكانية وأمكنة إقامة الناس عموما.

وسيرا في هذا المنحى، فقد منع الفقه إحداث الصناعات التي تسبب انبعاث روائح كريهة تضر بالساكنة، ومنع الفقه إحداث أماكن الدباغة وأماكن إلقاء القاذورات في الأحياء السكنية، فإذا أحدث بعض الناس ذلك وجب منعه، وقد كان هذا القول الفقهي معتبرا وملحوظا في تخطيط المدينة الإسلامية، فكانت الصناعات التي تحدث للناس روائح كريهة ومزعجة كدباغة الجلود تقصى إلى أماكن نائية.

في كتب الفتوى نوازل عديدة وأسئلة عن حكم إحداث صناعات تنبعث منها روائح كريهة.

1 - صحيح البخاري كتاب الصوم باب السواك الرطب واليابس للصائم.
2 - صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها.
3 - سنن أبي داود كتاب الطهارة باب السواك لمن قام من الليل.

وقد أورد البُرزلي في نوازله عدة أسئلة عن حالات الإضرار بإصدار الروائح الكريهة، فقد سئل عن رجل كان يصنع الخل في داره، وكانت الروائح تنبعث منه فتؤذي الجيران.

وقد أجاب البرزلي إن كان ذلك يحدث للناس ضررا، فإنه يجب منعه بعد أن يسأل عن ذلك أهل الطب[1].

وقال البرزلي إن الدخان والإنتان والقذارات وكل ريح مؤذ مما يجب قطعه باتفاق[2].

وسئل البرزلي أيضا عمن أحدث حفرة قصار الناس يلقون فيها الأزبال والقاذورات فتضر المارين، فأجاب بأن ذلك ضرر يجب إزالته[3].

وقد منع الفقهاء أن يحدث المرء مرحاضا مفتوحا على الخارج أو مربطا للبهائم، أو مكانا لجمع القمامة بجوار سكن الناس بحيث تنبعث منها روائح كريهة[4].

وعقد ابن الرامي البناء فصلا ضمن كتابه الإعلان بأحكام البنيان تحدث فيه عن ضرر الراوئح الكريهة.

وساق ابن الرامي فتوى مطرف وابن الماجشون من علماء المالكية في من يتخذ مدبغة في داره، فاشتكى جيرانه ضرر رائحته، وقال إن ذلك ضرر يجب منعه[5].

وقد كثــرت الفتاوى الفقهية المانــعة من الإضرار بإحداث الروائح النتنة والكريهة، واحترم المسلمــون هاته الأحكام، فلذلك أبعدوا مصادر الروائح الكريهة عن أماكن السكن، فكانت المدينة الإسلامية نظيفة لا تشم فيها روائح كريهة، لكن هذا الوضع قد وقع الإخلال به حين توسعت المدن واحتيج

1 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 389
2 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 389
3 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 389
4 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 391
5 - الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي تحقيق عبد الرحمن بن صالح الأطرم 1/ 210 دار إشبيلية الرياض.

إلى مطارح كبرى للنفايات، غالبا ما كانت تبعث إلى المدن بروائحها، خصوصا في أوقات الليل، وأعقب ذلك إصابة الناس بأمراض الربو والحساسية، وهو ما أحدث توترات اجتماعية لازالت بعض المدن العربية تعاني آثارها السيئة.

وأخذا من كل ما سبق من الأحكام الفقهية الداعية إلى ضرورة إقصاء مصادر الروائح الكريهة التي تضر بالناس، فقد وجب على الإنسان الذي يحدث هذه الروائح أن يعتبر نفسه متسببا في الضرر وظالما للغير بما أحدثه، ولا يجوز له التذرع بأن هذه المصادر التي قد تكون دكاكين لبيع الأسماك أو الدجاج وما أشبه ذلك هي مصادر للرزق، لأنه لا يصح أن يتحمل الضرر العام لتحقيق المنفعة الخاصة.

وبالإمكان التغلب على هذا أو التقليل منه بالتنظيف اليومي، وباستعمال المواد المطهرة التي تقاوم الروائح الكريهة، أو باستعمال التقنيات الحديثة التي تشفط الروائح الكريهة، وتلقيها بعيدا عن أماكن وجود الناس.

من التلوث بالأدخنة والروائح الكريهة إلى التلوث بالبخار وبالغازات الدفيئة والمشعة

لقد جلب التطور التكنولوجي أنواعا جديدة من التلوث لم تكن معروفة فيما سبق، ولذلك لم يتطرق إليها الفقه الذي كان يتعامل مع واقعه.

وبإعمال القياس يتبين أن فقه منع إصدار الأدخنة المؤذية لصحة الإنسان، يصلح أن يكون سندا ومرجعا للقول بمنع التلوث بالغازات السامة وبالأشعة النووية من باب الأولى، لأن الضرر في هذه الملوثات الحديثة هو أشد خطورة من الضرر الذي يحدثه الدخان على صحة الإنسان والحيوان والنبات، لأن هذه الملوثات الجديدة هي أقدر على الفتك السريع بكل مكونات البيئة.

وقد تأكدت خطورة الغازات المشعة بعد تفجير القنابل النووية بهيروشيما وناكازاكي في أغسطس من سنة 1945، وبعد انفجار المفاعل النووي بتشيرنوبيل

في 26 أبريل 1986، وبعد إجراء كثير من التجارب النووية. مما كان له ضحايا بشرية وخسائر مادية فادحة.

لقد أصبح الفضاء في المدن الصناعية مشبعا بضباب هو الضباب الدخاني الذي يحدث اختناقا لكثير من الناس في المدن التي بلغ فيها التلوث نسبة عالية.

وقد تشكل هذا الضباب الدخاني من انبعاثات مكونة من الغبار والدخان وبعض الجسيمات الدقيقة ومن أكسيد الكربون.

وتكون نوع آخر من الضباب هو الضباب الكميائي الذي يتكون من أكاسيد النتروجين والهيدرو كاربونات وأول أكسيد الكربون. وهذه نفايات متبقية عن عدم احتراق الوقود الأحفوري في محركات المركبات والشاحنات ومحطات توليد الكهرباء ومن محركات المصانع.

لقد أدى تجمع هذه الغازات الضارة إلى إحداث ثقب في غلاف الأوزون الذي كان يمثل غلافا حاميا للكائنات الحية التي تعيش على الأرض. وهذا الوضع البيئي الخطير هو ما استدعى أن يتخذ العالم يوم 16 سبتمبر يوما للتحسيس بخطورة المس بطبقة الأوزون.

إن حصيلة هذا التلوث كانت حصيلة ثقيلة على الإنسان الذي ظهرت عليه الكثير من السرطانات والأمراض الجلدية والتنفسية. كما كانت سيئة على مكونات المجال من أشجار وطيور وحيوانات ومياه عذبة وبحار وأسماك، وبهذا كان الضرر عاما وشاملا ومدمرا.

رابعا: التلوث الصوتي

لما كان من مشيئة الله أن يجعل الإنسان خليفته في الأرض، فقد اقتضى ذلك أن يكون له من العلم بالأشياء وبالمعاني ما يؤهله لممارسة وظيفة الخلافة. ولذلك فقد زوده الله بأجهزة جعلها وسائله إلى تحصيل المعرفة. وخلق كلا منها مصمما

على نحو مناسب لإدراك نوع خاص من المعرفة، فجعل حاسة الإبصار مناسبة لإدراك المرئيات، وجعل حاسة الشم مناسبة لإدراك المشمومات، وجعل حاسة الذوق مناسبة لمعرفة المذوقات.

وقد وهب الله الإنسان جهازا متكاملا لاستقبال الأصوات التي تحملها إليه ذبذبات الهواء للتعامل معها، ولتحليل رموزها ودلالاتها، خصوصا حين تكون تلك الأصوات لغة تصطلح عليها جماعة بشرية معينة، واللغة هي وعاء الفكر وبها تطور الإنسان، لكن سمة هذا الجهاز اللاقط للأصوات أن له قدرة تحمل محدودة، فإذا زادت ذبذبات الصوت عن حد معين أو اختلط الصوت بآخر أصبح مؤذيا ومزعجا، وقد يصير مفزعا ومدمرا، ولهذه القوة استخدمت قنابل الصوت في الحروب لإرعاب الخصم وهزيمته نفسيا قبل المواجهة والالتحام.

لقد دلل القرآن على أن الصوت العالي يمكن أن يكون مؤذيا بل وقاتلا، لأنه كان الوسيلة التي أهلكت بها أقوام وشعوب في التاريخ القديم، منها عاد قوم هود، وقد قال الله عنهم: ﴿**فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غُثاء فَبُعْداً للقوم الظالمين**﴾ [المومنون 41]، وبالصوت القوي الصاعق الذي لا تتحمله الأسماع، أهلكت ثمود قوم صالح، وقد قال الله تعالى عنهم:﴿**وفي ثَمودَ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حينٍ فعتوا عن امر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين**﴾[الذاريات 43]، وقال عنهم: ﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر**﴾ [القمر 31].

ومن أجل أن يتفادى الإنسان المسلم إحداث الصوت العالي أو يتعرض له، فقد جاءت نصوص القرآن والسنة محذرة من تجاوز الحد العادي في إصدار الأصوات.

وسجل القرآن وصية لقمان لولده وهو يقول له: ﴿**واغضُضْ من صوتك إن أنكر الاصوات لَصوتُ الحمير**﴾ [لقمان 18]. ومعناه أن العبرة لو كانت بعلو الصوت وارتفاعه، لكان صوت الحمار وهو قوي جهير أفضل من صوت الإنسان، لكن الإنسان قد يكون صوته لينا رقيقا، أو جميلا رخيما، فيؤدي به أجمل الكلام الحامل لأدق المعاني

وألطفها، ويصدره بأعذب النغمات التي تنفذ إلى الوجدان.

من واقع حياة رسول صلى الله ﷺ، أنه رأى قوما لا يرتقون شرفا، ولا يهبطون واديا إلا كبروا، فقال النبي ﷺ: **"أيها الناس اربعوا بأنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا بصيرا"**[1].

وقد استمد الفقهاء من نص الحديث وغيره، أنه يجب منع ضرر أصوات العالية، واستدل ابن رشد الجد على ضرر الصوت المرتفع بما روي من أن سعيد بن المسيب دخل المسجد، فوجد فيه قارئا يقرأ القرآن بصوت مرتفع فقال لخادمه بُرد، أطرد هذا القارئ عني فقد آذاني، فقال برد: إن هذا المسجد ليس لنا، وكان القارئ هو عمر بن عبد العزيز، فلما سمع قول سعيد أخذ نعله ثم تنحى[2].

يقول البرزلي لقد كان مالك ينكر رفع الصوت عند المنبر بالنهار فكيف بالليل[3].

وأفتى البرزلي بأن من كان يدق النوى في بيته فيحدث للجيران ضررا من سماع صوت الضرب، فإنه يمنع من ذلك[4].

وذكر ابن الرامي البَنَّاء أن الصوت الذي يحدثه الكمادون وهم الذين يدقون الثوب وهم يصبغونه، والأصوات التي تحدثها الأرحية، والأصوات التي يحدثها الذين يطرقون الحديد وباقي المعادن هي ضرر للجيران[5].

وذكر البرزلي أن ابن سهل سئل عن مؤذن يقوم في جوف الليل ويبتهل بالدعاء، ويردد ذلك إلى أن يصبح فقال ابن سهل: إن ذلك ضرر على الجيران، الواجب أن يؤخر

1 - صحيح البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة.

2 - البيان والتحصيل لأبي الوليد ابن رشد تحقيق أحمد الحبابي دار الغرب الإسلامي 1988. وينظر الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي 1/ 214.

3 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 393.

4 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 396.

5 - الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي 1/ 212.

ذلك إلى ما قبل أذان الصبح قدر ساعة[1].

إن هذه الأحكام الفقهية التي كانت تناهض الضوضاء وتمنع الضجيج، كانت تتناول أصواتا لا تبلغ درجة الأصوات التي تحدثها الآن آلات الصناعة الضخمة، وأصوات الطائرات والقطارات وغيرها، ويحدثها الباعة في الشوارع، وتحدثها محركات السيارات وبعض الأصوات العالية التي يتعمد بعض المتهورين إصدارها من محركات دراجاتهم النارية الضخمة، لاستلفات الأنظار إليهم ولإبراز براعتهم.

والمتعين أخذ هذه الأحكام بعين الاعتبار وتحيينها، من أجل اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالحد من علو الأصوات، وذلك أمر أصبحت التكنولوجيا الحديثة تسمح به وتساعد عليه، لأن ارتفاع الصوت المستمر مضر بجهاز السمع للإنسان وقد يعطله، كما أنه قد يصيب الجهاز العصبي وقد يدمره.

خامسا: التلوث بالاهتزاز

إن الوضع السليم للإنسان أن يكون في بيئة هادئة مستقرة ليس فيها إزعاج بالأصوات المرتفعة، ولا بالاهتزازات المتلاحقة، لأن الاهتزازات المتواصلة والرجات المتتابعة تفقد الإنسان استقراره واطمئنانه.

وقد تنبه الفقه إلى أن الاهتزاز الذي يصيب الجدران جراء تحريك الآلات، أو بسبب طرق المعادن هو ضرر حقيقي يجب رفعه.

وقد كانت ترفع إلى المفتين أسئلة، وإلى القضاة دعاوى يشتكي فيها الناس مما يحدثه لهم وجود أرحية بجوارهم تهز الجدران، وكان القضاة يدعون أهل الخبرة إلى التأكد من وجود الاهتزاز، وكان من أساليب الخبراء في ذلك أن يغرسوا عمودين في الجدار، ويضعوا عليهما ورقة يضعون فوقها حبات من الكُزبرة، فإن هي تحركت

---

1 - جامع مسائل الأحكام للبرزلي 4/ 393

تحققوا من وقوع الاهتزاز، وإن لم تتحرك رفضت الدعوى[1]. وكانت للخبراء أساليب أخرى في فحص الدعوى.

وإذا كان الاهتزاز يتم بسبب وجود إصطبل تبيت فيه حيوانات تدق الأرض بحوافرها، فإنهم كانوا يوصون بأن يحفر الإصطبل في مكان أسفل من مستوى المكان المجاور، ثم يفصل بينه وبين جدار الجار بجدار آخر يترك بينهما فراغ[2].

والمهم من هذا كله أن الفقهاء قد كانوا على وعي كامل بما يمثله الاهتزاز من إضرار بالجهاز العصبي للإنسان، وقد وظفوا ما كان متيسرا في زمنهم من الإمكانات العلمية من أجل رفع ضرر الاهتزاز، والمتعين أن يستأنس بهذا من أجل الحد من الاهتزازات التي أصبحت وسائل المواصلات وآلات الحفر ومتفجرات الهدم والمعامل الضخمة تحدثها، ويكون لها أثرها على سلامة المباني المجاورة وعلى العمارات ذات الطوابق المتعددة.

التزام فقه البيئة دعم لالتزام مقررات مؤتمرات المناخ

حين تداعت شعوب العالم ممثلة بدولها وجمعيات المجتمع المدني، والمنظمات الدولية المعنية بقضية البيئة إلى عقد مؤتمر المناخ في دورته 21 في باريز في المدة ما بين 30 نوفمبر إلى 11 دجنبر 2015، وكانت الدعوة إلى المؤتمر قوية وملحة، وساعية إلى استقطاب كل شعوب العالم، ثم كانت الاستجابة هي أيضا قوية، وكان الحضور نوعيا ومكثفا، فإن ذلك كله لم يكن إلا تعبيرا عن الإحساس بتخوف رهيب من الخطر الذي أصبح الاختلال البيئي يهدد به مستقبل البشرية، خصوصا بعد تكرر الظواهر الطبيعية المدمرة التي ربطت بالاحتباس الحراري.

وكان من نتائج المؤتمر أن التزم ممثلو 195 بلدا بالتصدي القوي والفوري للاحتباس الحراري، وحددوا بداية سنة 2020 منطلقا لتنفيذ ما اتفق عليه، على أمل ألا ترتفع

1 - الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي 1/ 221.

2 - الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي 1/ 219.

نسبة الاحترار بأكثر من درجتين، استئنافا لما كان عليه الوضع قبل سنة 1880 التي شهدت انطلاق التصنيع بزخمه الكبير.

وبالقوة نفسها وبالإصرار ذاته، عرض المغرب أن يحتضن قمة المناخ في دورتها 22 بمراكش في المدة ما بين 7 إلى 18 نوفمبر 2016. ليكون لهذا اللقاء معنى إضافي هو اشتراك القارة الإفريقية في التهييئ للمقررات وفي الالتزام بتنفيذها.

إن الملاحظ هو أن المؤتمرين الأخيرين للمناخ قد اكتسبا أهمية بالغة واستثنائية، إذا ما قورنا بما تعاملت به بعض الدول مع مؤتمرات سابقة خصوصا مؤتمر كيوتو 1992.

وقد رأت بعض الدول الكبرى في حينه أن بروتوكول كيوتو لا يخدم مصالحها، وأنه يحد من حريتها، لأنه يبطئ حركة التصنيع والإنتاج حين يوصي بالحد من انبعاث الغازات الدفيئة.

والآن وقد أصبحت الاختلالات الإيكولوجية تدق كل الأبواب بقوة مدمرة، وتفاجئ كل القارات، ويكون لكل قارة حظ من آثار الاضطرابات المناخية، فإن الأمر قد أصبح جدا، وأصبح يقتضي مواجهة الاختلال البيئي بإجراءات جماعية صارمة كفيلة بالتقليل منه، بعيدا عن الحسابات الاقتصادية الضيقة التي تجعل سلامة الإنسان في درجة متأخرة.

وإذ انتهى العالم كله إلى ضرورة إقرار مواثيق لحماية البيئة في هذه المرحلة، فإن ذلك كله لا يكفي، لأن العبرة ستكون بالتزام الدول الموقعة على المواثيق، وبتنفيذ الشعوب ومنظمات المجتمع المدني لما اتفق عليه دوليا، تطبيقا حقيقيا.

ومن شأن هذا التطبيق أن يمنح المواثيق المعلنة رسميا صدقيتها وجدواها.

وسيكون من خصوصيات العالم الإسلامي أنه ينخرط في تنفيذ مقررات مناخ البيئة مدفوعا بقوة مستمدة من سند ديني قوي، يلزم بالاستجابة والوفاء لمقررات

البيئة، وهذا باعث إضافي يخص المسلمين، إضافة إلى اشتراكهم مع باقي شعوب العالم في كل العوامل الملزمة بمواجهة الأخطار البيئية.

وأول الأسباب التي تدعو المسلمين إلى تنفيذ قرارات حماية البيئة، هو سند من أحكام الشريعة حسبما بينت بعضه، وأن الشريعة لا تقر الضرر، وإنما تدعو إلى الاحتماء منه قبل أن يثبت، وإلى مواجهته إذا ثبت عملا بقاعدة "الضرر يزال".

وأما السبب الثاني فهو ضرورة تنفيذ المسلم لما أعلنه والتزم به، بناء على قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾ [المائدة 1].

والمعروف من شأن رسول الله ﷺ أنه كان يساند كل العقود والاتفاقات العادلة التي يتفق عليها الناس، وقد ظل عليه السلام يشيد بعقد أبرمته قريش في الجاهلية، واتفقت فيه على نصرة المظلوم، وسمي هذا العقد حلف الفضول، وظل النبي ﷺ يقول عنه: "**لو أدعى به في الإسلام لأجبت**"[1]، علما بأن هذا العقد قد تم في الجاهلية، وبذلك لم يكن أطرافه من المسلمين.

وأخذا من هذا، فإن المتعين أن ينخرط المسلمون أفرادا وجماعات في تنفيذ مقررات المناخ، لأنهم التزموا بذلك.

ومن أجل أن يصير الوعي بقضايا البيئة والمناخ وعيا مشتركا، فإن الخطوات الضرورية التي يجب السير عليها لا بد أن تكون خطوات معرفية، ومنها:

أ. وضع مؤلفات في فقه البيئة، مثلما أن للمسلمين مؤلفات في فقه الأسرة والأموال والتعامل مع الغير والأسواق وغيرها.

ب. حقن المواد الدراسية في برامج مؤسسات التعليم كلها، ومؤسسات التعليم العتيق خصوصا بمادة التربية البيئية.

1 - السنن الكبرى للبيهقي كتاب الوصايا. - عيون الأثر لابن سيد الناس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي 1/ 59 دار الآفاق الجديدة 1982.

ج . تخصيص دروس وخطب في موضوع التربية البيئية تلقى على الناس في المساجد وفي المنتديات العامة وفي المناسبات الجامعة.

د . إدراج مادة التربية البيئية ضمن امتحانات التوظيف أو التشغيل الحر، ليصير الوعي بها ضمانا للتصرف وفق مقتضياتها.

هـ . تعزيز التوعية بالبيئية بقوانين حامية للبيئة تعتمد في مخططات الإعمار وتهيئات المدن وتحديد المساحات الخضراء في النسيج العمراني، وتدبير المياه وتدوير النفايات ومعالجة المياه المستعملة، والحد من الأدخنة والغازات والروائح الكريهة وغير ذلك.

الفهـــــرس